الأنماط التركيبيَّة والدلاليَّة لـ (إذ) بين القاعدة النَّحويَّة والاستعمال اللُّغوي

((دِراسة وصفيَّة))

د/ محمد كمال محمد جاد

مدرس النحو والصرف والعروض في قسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة المنوفية

الملخص

يضع هذا البحث أيدِيَنا على ما اعترى تحليل النحاة القدماء للعنصر اللغوي (إذ) من إشكاليات تعكس قصور التقعيد النحوي عن مجاراة الواقع اللغوي، وتجميد النحاة الدلالات المتعددة لهذا العنصر النحوي في دلالة واحدة، أو فرض دلالة معينة لهذا العنصر النحوي في استعمال معين على جميع استعمالاته، وهو فرض لمنطق العقل المحدود على طبيعة اللغة اللا محدودة؛ مما ألجأهم إلى التكلف في التأويل والبعد في التقدير، وتلمس المناسبة بين (إذ) وعامل نصبها من دون وجود أي ملابسة أو علاقة دلالية؛ حفاظًا على قدسية القاعدة، وإن تناقضت مع الاستعمال.

فقد توقف البحث على فرض النحاة دلالة أحادية على (إذ)، وهي الظرفية الزمانية؛ ومن ثم حكموا باسميتها، واستبعدوا أن تكون حرفًا، وتلمسوا بكل السبل الممكنة وغير الممكنة تحديد العامل الناصب لهذا الاسم، فشُغلوا بذلك عن النظر في الفروق الدقيقة بين مواضع الاستعمال اللغوي لهذه الكلمة في اللسان العربي عامَّةً، والاستعمال القرآني خاصَّةً، وأثبت البحث أن (إذ) من العناصر اللغوية المتميزة بتنوع استعمالاتها وتنوع دلالاتها، فتأتي في كثير من استعمالاتها حرفًا دالًّا على: الاستفتاح والشروع في القص، أو التعويض والإحالة إلى جملة أو جمل سابقة، أو التعليل، أو التفصيل، أو التفسير، أو الاستقبال، أو المصدرية، أو الحالية، أو المفاجأة، أو التوكيد، وتأتي في بعض استعمالاتها اسمًا دالًّا على معنى الحينية، وهي في كل دلالاتها تحقق التماسك النصي الشكلي والدلالي بين أجزاء النص.

الكلمات المفتاحية: القاعدة والاستعمال، الأنماط التركيبية لـ(إذ)، دلالات (إذ)، السياق القرآني، منطق العقل، مرونة الاستعمال اللغوي.

المقدمة

لقد شاع استعمال (إذ) في اللسان العربي شيوعًا ظاهرًا، وتعددت دلالاتها في مواضع استعمالها تعددًا واسعًا؛ فقد دلت في مواضعها المختلفة على معانٍ متعددة، وهي: الاستفتاح والشروع في القص، والتعويض والإحالة، والحينية، والتعليل، والتفصيل، والتفسير، والاستقبال، والمصدرية، والحاليَّة، والمفاجأة، والتوكيد، ومع هذا التعدد الواسع في المعاني التي تؤديها هذه اللفظة، إلا أنها وفي هذه الدلالات كلها تقوم بوظيفة الربط والتماسك بين أجزاء النص.

وقد اعترى تحليل النحاة القدماء للتراكيب المشتملة لـ(إذ) عدة إشكاليات تعكس قصور التقعيد النحوي عن مجاراة الواقع اللغوي، ومحاولة النحاة تجميد الدلالات المتعددة لهذا العنصر النحوي في دلالة واحدة، أو فرض دلالة معينة في استعمال معين له على جميع استعمالاته، وهو فرض لمنطق العقل المحدود على طبيعة اللغة اللامحدودة؛ مما ألجأهم إلى التكلف في التأويل والبعد في التقدير، وتلمس المناسبة بين (إذ) والعامل فيها من دون وجود أية ملابسة أو علاقة دلاليَّة؛ حفاظًا على قدسية القاعدة، وإن تناقضت مع الاستعمال.

أسباب اختيار موضوع البحث: دفعني إلى اختيار موضوع هذا البحث اضطراب أقوال النحاة والمفسرين عند إعراب (إذ) في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، واختلافهم في تحديد معناها، على الرغم من وضوح المعنى العام في هذه الآيات كلها، وعدم توقف الذهن إطلاقًا في فهم معناها عند ترتيلها أو الإنصات إليها.

هدف البحث: يهدف هذا البحث إلى تتبُّع مواضع استعمال (إذ) في اللسان العربي في أفصح كلام، كلام الله – عز وجل– القرآن الكريم، وكذلك في كلام رسول الله ﷺ وصحابته، والشعر في عصور الاحتجاج اللغوي؛ استجلاءً للدلالات المتنوعة لهذا العنصر اللغوي، والخصائص التركيبية التي يكتسبها مع كل دلالة، وبيان الاختلاف الواقع بين تصور النحاة لهذا العنصر اللغوي واستعمالاته اللغوية.

إشكاليَّة البحث: لقد تحكم **فرض النحاة دلالة الوقت على (إذ) وفرض القول باسميتها**، وهو فرض لمنطق العقل على منطق اللغة، في تحليل للتراكيب النحوية والنصوص المشتملة عليها، فحكموا عليها بأنها من ظروف الزمان، وتلمسوا بكل السبل الممكنة تحديد العامل الناصب لها، محاولين أن يكون العامل فيها متعلقًا بها دلاليًّا، ومتفقًا معها في دلالة الزمنية الماضية، وأن يكون مستوفيًا لقواعد

الإعمال النحوي وشروطه، وشُغلوا بذلك عن النظر في الفروق الدقيقة بين مواضع الاستعمال اللغوي لهذه الكلمة في كلام العرب عامَّةً، والاستعمال القرآني خاصَّةً.

منهج الدراسة: المنهج الوصفي التحليلي، وقد قمت في هذا البحث بالخطوات الآتية:

١- حصر المواضع التي وردت فيها (إذ) في القرآن الكريم، وتصنيفها بحسب دلالتها المستفادة من السياق اللغوي الداخلي للآية وما حولها من آيات سابقة ولاحقة، وأيضًا بحسب الدلالة المشتركة لمواضع ورودها في القرآن الكريم عامَّة (السياق اللغوي الموسع)، وكذلك بحسب ملابسات السياق الخارجي (المقام وما يتصل به من أسباب النزول)، وكذلك حصر المواضع التي وردت فيها (إذ) في كتاب صحيح البخاري، وتصنيفها بحسب دلالتها المستفادة من السياق اللغوي الداخلي، والدلالة المشتركة لنمطها التركيبي العام، وملابسات السياق الخارجي (المقام وما يتصل به)، والبحث ما أمكن عن الدلالات المختلفة لـ(إذ) في الشعر العربي القديم، وخاصة الشعر الجاهلي.

٢- تصنيف الشواهد القرآنية والحديثية والشعرية المندرجة تحت كل دلالة عامة لـ(إذ) إلى أنماطها التركيبية المتعددة، ومحاولة الوصول إلى تصور عام لاندراج بعض هذه الأنماط تحت نمط تركيبي يعد أصلًا لها، وبيان موقف النحاة من إعراب (إذ) في كل نمط تركيبي، وبيان رأي الباحث في تلك الآراء وتعقيبه عليها.

٣- بيان دور (إذ) في التماسك النصي، وبيان مشكلات التحليل النحوي لـ(إذ) عند النحاة القدماء.

قضايا ثانوية: قضية تأثير نظرية العامل في إهدار خصوصيات النظم والدلالة.

فرضية البحث: يفترض البحث أن (إذ) كلمة متعددة الدلالة محتملة التصنيف، وتكتسب دلالتها ومن ثم تصنيفها من السياق اللغوي الداخلي للنص (المقال) وسياق الحال الخارجي (المقام). ولا مانع من عدها حرفًا، فبنيتها اللفظية المكونة من حرفين مؤهلة أن تندرج في قسم الحروف، وممَّا يقوي هذه الفرضية تعدد معانيها؛ وهي السمة الغالبة على الحروف في اللغة العربية، ويمكن أن تصنف حرفًا في مواضع، واسمًا في مواضع أخرى، والذي يحدد ذلك هو الاستعمال.

الدراسات السابقة:

- **أسلوب (إذ) في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية، د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.** ويضم هذا البحث آراء النحاة وأقوالهم ومذاهبهم المتعلقة

بإذ، ويقارن بينها، ويرجح رأيًا على رأي، ولا يغني هذا البحث عن البحث الحالي؛ فالهدف مختلف في كلا البحثين، فهدف البحث السابق هو بيان آراء النحاة في هذا العنصر اللغوي عرضًا، ودراسةً، ومقارنةً، وترجيحًا، ولا يجاوز ذلك إلى آراء جديدة، يكون من شأنها منع هذا التشتت الفكري، ووضع تصور واضح لدلالات إذ في اللسان العربي، أمَّا البحث الحالي فلا ينظر إلى (إذ) من منظور ما سبق من آراء النحاة، بل إنه يستجلي دلالاتها من خلال السياق، ثم يبين الأنماط التركيبية لكل دلالة من هذه الدلالات، فهو يدرس هذا العنصر اللغوي من خلال اللغة ذاتها، ومن خلال سياقاته المتعددة، دراسة وصفية لا معيارية، فلا يفرض على اللغة منطق العقل؛ ومن ثم كان للبحث الحالي نتائج جديدة في هذا المضمار البحثي.

– **(إذ) واستعمالاتها في القرآن الكريم بين النحاة والمفسرين، مها علي القرشي، ماجستير، غير منشورة، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.** وقد تناولت هذه الدراسة معاني إذ وأحكامها في التراث النحوي، من حيث إضافتها، وإضافة أسماء الزمان إليها، والعامل فيها، ومسألة التنازع المتعلقة بها، ولا تخرج في بحث كل هذه القضايا عمَّا قرره النحاة القدماء، كما تناولت استعمالات إذ في القرآن الكريم، وقد نصت هذه الدراسة على أنها التزمت برأي الجمهور من إلزام (إذ) الظرفية الزمانيَّة[١]، وهذا هو الفارق الجوهري بين هذه الدراسة والبحث الحالي؛ فإنني لم ألتزم برأي النحاة القدماء فيما قرروه عن طبيعة هذا العنصر اللغوي، بل تعمقت في سياقات هذه الأداة؛ لفهم معانيها المتعددة في سياقاتها المتنوعة، وهو ما جعلني أتبين أن آراء النحاة اتسمت بالتخبط والتشتت؛ فعارضت أكثر هذه الآراء مستدلًا بالسياق الداخلي اللغوي والسياق الخارجي، متمثلًا في: مقاصد المتكلمين، وأحوال المخاطبين، والظروف الملابسة للنص.

خطة البحث: يتكون البحث من مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، يتناول المبحث الأول دلالات (إذ) وأنماطها التركيبية في اللسان العربي، وقد قسمته إلى ويتعرض المبحث الثاني لدور (إذ) في تحقيق التماسك النصي، ويأتي المبحث الثالث مستعرضًا أهم مشكلات التحليل النَّحوي لـ(إذ) عند النحاة القدماء، ثم تأتي الخاتمة بأهم النتائج التي توصل لها البحث.

---

(١) إذ واستعمالاتها في القرآن الكريم بين النحاة والمفسرين، إعداد الطالبة مها علي القرشي، إشراف الأستاذ الدكتور محمد خاطر، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، (صفحة ز).

المبحث الأول

دلالات (إذ) وأنماطها التركيبيَّة بين القاعدة والاستعمال

تتعدد دلالات (إذ) باختلاف السياقات التي ترد فيها؛ إذ تتغير وظيفتها في الربط بين أجزاء النص، وتحقق مع كل هذه الوظائف المتنوعة وظيفة التماسك النصي الشكلي والموضوعي، وسنعرض في هذا المبحث الدلالات المتنوعة لهذا العنصر اللغوي الثري، مع توضيح الدلالة بأنماطها التركيبية المتنوعة المستقاة من شواهدها القرآنية وكلام رسول الله ﷺ، وكلام صحابته ﷺ، والشعر العربي القديم، مع بيان آراء النحاة والتعقيب عليها، والاستئناس بكلام المفسرين وشارحي الشعر الجاهلي وخاصة المعلقات؛ للتدليل على صحة الدلالة التي يستنبطها الباحث في كل موضع، ويمكن عرض هذه الدلالات على النحو التالي:

المطلب الأول: (إذ) للتنبيه واستفتاح القص.

تأتي (إذ) في مواضع كثيرة من القرآن الكريم في صدر القصص القرآني؛ ومن ثم يمكن اعتبارها حرف تنبيه واستفتاح وإشعار ببداية القص لأحداث الماضي المتعلقة بالأنبياء والأمم السابقة وأحداث النبوة الشريفة، وتأتي (إذ) المؤذنة ببدء القص في ثلاثة مواضع:

الموضع الأول: أن يشتمل السياق اللغوي الداخلي للتركيب الذي ترد فيه (إذ) على مشتقات مادة (قص)، أو ما يرادفها، نحو: الذكر، والحديث، والنبأ، ويكثر ذلك في القرآن الكريم، نحو: تركيب (نحن نقص عليك نبأهم)، أو (نحن نقص عليك أحسن القصص)، وتركيب (واذكر...) أو (ذِكْر...)، وتركيب (هل أتاك حديث...؟)، وتركيب (هل أتاك نبأ ...؟)، فهذه الألفاظ وهذه التراكيب تدل على نية الشروع في القص، ثم تأتي (إذ) في صدر هذا القصص مفتتحة هذا القصص، فتكون حرف تنبيه واستفتاح للقصص القرآني.

وقد قدر بعض النحاة كلمة (القصة) أو ما يرادفها في بعض التراكيب التي لم يسبق (إذ) فيها ذكر الكلمات الدالة على القص، وذلك نحو تركيب (واذكر) متبوعًا باسم النبي صاحب القصة مفعولا به، فقد قدر بعض المعربين والمفسرين مفعولًا محذوفًا للفعل (اذكر) وتقديره (القصة أو الخبر أو الحديث)، يقول الزجاج في إعراب قوله –تعالى–: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ۝٤١﴾ [مَرۡيَم: ٤١]:

"اذكر في الكتاب الذي أنزل عليك، وهو القرآن، قصة إبراهيم وخبره[١]"، ويقول الكرماني مؤكدًا كون (إذ) بمعنى القصة: "قوله: (واذكر في الكتاب)، أي: في القرآن، (إبراهيم)، أي: قصته، (إذ قال لأبيه) بدل من قصته [٢]"، وفعل الأمر الدال على الاستقبال المخالف لدلالة إذ التي يقررها النحاة –وهي دلالة المضي– مع تقدير المفعول به المحذوف يؤكدان أن (إذ) هنا ليست ظرفًا ولا بدلا من المفعول كما ذهب النحاة[٣]، بل هي حرف استفتاح وشروع في القص.

الموضع الثاني: أن ترد (إذ) مسبوقة بالواو (وإذ) متبوعة بالقص، وهذا الاستغراق في القص بعدها هو الذي يدل على هذا المعنى المستفاد منها، وأذهب إلى أنها في هذه الحالة حرف استفتاح، ويكون هذا النمط اختصارًا للنمط السابق، فالنمط السابق يتكون من فعل الطلب (اذكر) أو (هل أتاك) ومفعوله (القصة) و(إذ) حرف استفتاح للقصة، أمَّا هذا النمط فقد حلت الواو فيه محل الفعل والفاعل والمفعول المقدر (القصة).

الموضع الثالث: أن تسبق (إذ) باسم النبي (صاحب القصة) أو (من تدور حولهم القصة أو الخبر)، أو (مقدمة للقصة)، ثم تستفتح أحداث القصة بـ(إذ).

وقد تعددت الأنماط التركيبية التي تأتي فيها إذ حرفًا للتنبيه واستفتاح القص، ويمكن عرضها على النحو التالي:

النمط الأول: النمط التركيبي الأصلي (واذكر + مفعول به + إذ)

يتكون هذا النمط التركيبي من: [اذكر (فعل أمر فاعله مستتر تقديره أنت موجه إلى النبي ﷺ)+ مفعول به للفعل اذكر، وهو(اسم النبي الذي تتحدث القصة عنه)+ إذ)] وبعدها يبدأ عرض أحداث القصة، وقد جاء هذا النمط التركيبي في أربعة مواضع من القرآن الكريم:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٣١/٣

(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل ٦٩٨/٢

(٣) وذهب ابن عادل إلى أنه بدل من إبراهيم بدل اشتمال. ينظر: اللباب في علوم الكتاب ٧٣/١٣، وذهب الزمخشري إلى أنها ظرف، وأنه "يجوز أن يتعلق (إذ) بـ(كان) أو بـ(صديقًا نبيًّا)". الكشاف ١٨/٣، ورد أبو حيان هذا الرأي بأن عمل كان في الظرف محل خلاف، وأن العمل لا ينسب إلا إلى لفظ واحد، وجوز أبو حيان أن تكون معمولًا لـ(صديقًا)، أو (نبيًّا). ينظر: البحر المحيط في التفسير ٢٦٨/٧

١- ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦﴾ [مَرْيَم : ١٦]

٢- ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ [مَرْيَم : ٤١ - ٤٢]

٣- ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾ [الأَحْقَاف : ٢١]

٤- ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١﴾ [ص : ٤١]

ويُعد هذا النمط التركيبي أصلًا لغيره من الأنماط التركيبية لـ (إذ الاستفتاحية)؛ فقد اكتملت في هذا النمط التركيبي عناصر الجملة الفعلية الواقعة قبل إذ، فقد ذكر الفعل المتعدي مستوفيًا فاعله ومفعوله، كما أنه بمراجعة ترتيب السور القرآنية من حيث النزول، يتبين أن هذا النمط التركيبي قد ظهر في السور المكية (مريم، والأحقاف، وسورة ص)؛ ومن ثم فإن الأنماط المتفرعة عن هذا النمط التركيبي ستُردُّ إلى هذا النمط المتقدم في النزول، والذي سمعه العرب قبل الأنماط الأخرى. فقد جاء النمط التركيبي كاملًا غير منقوص حين نزل لأول مرة، وذلك في سورة ص، ثم بعد أن ألفته نفوس العرب حُذفت بعض عناصره في الأنماط المتفرعة منه، فقد صار مألوفًا ومعروفًا أن هذا الذكر وهذا القصص سيتكرر في القرآن الكريم، ولم لا؟ وقد سمع الصحابة بل العرب جميعًا وقت نزول القرآن من النبي ﷺ قول الله –تعالى–: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ [آل عِمْرَان : ٦٢]، وقوله –تعالى–: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [يُوسُف : ٣]، وقوله –تعالى–: ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِي﴾ [الأَنبِيَاء : ٢٤] ، وغيرها من الآيات الكريمة الدالة على أن القرآن الكريم زاخر بقصص الأنبياء والأمم السابقة.

موقف النحاة من (إذ) في هذا النمط : لم يرد عن النحاة القدماء أن (إذ) تستعمل للدلالة على الاستفتاح والشروع في القص، وفي الآية الأولى من هذا النمط اختلفت آراء النحاة في إعراب (إذ) على ستة أوجه: "أحدها: أنها منصوبة بـ (اذكر) على أنها خرجت عن الظرفية ... والثاني: أنه منصوب بمحذوف مضاف لمريم تقديره: واذكر خبر مريم، أو نبأها، إذ انتبذت ... والثالث: أنه منصوب بفعل محذوف تقديره: وبَيِّنَ، أي: الله –تعالى–، فهو كلام آخر... والرابع: أن يكون منصوبًا على الحال من ذلك المضاف المقدر، أي: خبر مريم أو نبأ مريم ... والخامس: أنه بدل من (مريم) بدل اشتمال... السادس: أن (إذ) بمعنى (أن) المصدرية ... [(١)]".

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٥٧٦/٧-٥٧٧

وإذا تأملنا هذه الأوجه الإعرابية نجدها تنشغل أحيانًا بالبحث عن العامل الذي يتفق مع ما ألزموا أنفسهم به فرضًا لمنطق العقل على منطق اللغة من دلالة إذ على المضي وعدها ظرفًا لا يتصرف إلا بإضافة ظرف الزمان إليها، وتنشغل هذه الآراء أحيانًا أخرى بالبحث عن معناها، وتختلف في كلِّ ذلك، فحين تبحث عن العامل تقدره فعلًا محذوفًا تارة، ومضافًا محذوفًا تارة، وتختلف حين تبحث عن معناها فتجعله تارة البدلية، وتارة الحالية، وإن كان الرأي الأول قد جعلها منصوبة بالفعل المذكور (اذكر)، إلا أن هذا الرأي بعد أن أخرجها من الظرفية ليتفق مع القاعدة التي أضفى عليها النحاة القدسية لم يذكر معناها بعد خروجها عن الظرفية[١]، وليس هناك فائدة دلالية لتقييد الخبر أو النبأ المحذوف بإذ الظرفية الزمانية، كما يذهب الرأي الثاني، فالخبر وهو القصة لم تبدأ أحداثه إلا بعد إذ، فإذ هي التي استفتحت القصة، أما الرأي الثالث فإقحام في القرآن لما ليس منه، من خلال التزيد في التقدير، وهو تقدير لا يساعدنا ظاهر معنى الآيات على تحمله، فالمعنى ظاهر بدونه، فلم التقدير؟!، وأما الرأي الرابع فيناقض ما ألزموا أنفسهم به، وكذلك الرأي الخامس الذي يذهب إلى أن: "إذ بدل من مريم بدل الاشتمال؛ لأن الأحيان مشتملة على ما فيها، وفيه أن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا؛ لوقوع هذه القصة العجيبة فيه[٢]"، فقد رد أبو حيان هذا الرأي بأن ذلك" يقتضي التصرف في إذ، وهي من الظروف التي لم يتصرف فيها إلا بإضافة ظرف زمان إليها[٣]". وأرى أن المقصود من ذكر مريم – عليها السلام– ليس هو ذكر الوقت، كما ذهب إليه الزمخشري، فلا فائدة من ذكر الوقت الذي حدثت فيه القصة إطلاقًا، بل الفائدة التي تستفاد هنا هي من أحداث القصة نفسها، فالعظة والعبرة مستفادة من أحداث القصة لا وقتها، والله –تعالى– يقول: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [يُوسُف : ١١١] ، كما يتضح ذلك من مجمل الآيات ومن الأحداث التالية لـ(إذ) والتي تمثل السياق اللغوي الداخلي الذي يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عند التحليل؛ ومن ثم فإنني أرى أن إذ في هذا النمط حرف استفتاح للقص، وهذا الرأي يتفق مع المعنى الظاهر الواضح لهذه المواضع التي ورد بها هذا النمط دون إبعاد في التقدير.

(١) رد أبو حيان هذا الرأي بناء على الحكم على (إذ) بأنها ظرف يدل على الزمن الماضي، فنص على أنه" لا يمكن ذلك مع بقائه على الظرفية؛ لأن الاستقبال لا يقع في الماضي". البحر المحيط في التفسير ٢٤٧/٧

(٢) تفسير الكشاف ٩/٣

(٣) البحر المحيط في التفسير ٢٥٠/٦

النمط الثاني: (اتل عليهم نبأ ...+ إذ ...)

يشبه هذا النمط التركيبي النمط السابق؛ إذ يتكون من: [اتل (فعل أمر فاعله مستتر تقديره أنت موجه إلى النبي ﷺ)+ شبه جملة جار ومجرور (عليهم) + مفعول به للفعل اتل، وهو (نبأ) مضافًا إلى صاحب القصة)+ إذ)] وبعدها يبدأ عرض أحداث القصة، وقد جاء هذا النمط التركيبي في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم:

١- ﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا ﴾ [المَائِدَة : ٢٧]

٢- ﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي ﴾ [يُونُس : ٧١]

٣- ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠﴾ [الشُّعَرَاء : ٦٩ - ٧٠]

وقد اختلف النحاة القدماء في إعراب (إذ) في هذا النمط التركيبي على ثلاثة آراء[١]: الأول: أنه ظرف منصوب بالمصدر(نبأ)، وأرى أنه ليست هناك فائدة دلالية لتقييد الخبر أو النبأ المحذوف بـ(إذ) الظرفية الزمانية، كما ذهب الرأي الأول، وأما الرأي الثاني فقد قدر الزمخشري[٢] أنه بدلٌ من (نبأ) على حذف مضافٍ تقديرُه: واتلُ عليهم النبأ نبأَ ذلك الوقت، ورد أبو حيان[٣] هذا الرأي بأن إذ لا يُضاف إليها إلا الزمانُ، و(نبأ) ليس بزمان، وأما الرأي الثالث أنه حالٌ من (نبأ)، وعلى هذا يتعلق بمحذوف، وعلق[٤] السمين الحلبي على هذا الرأي بأنه غير واضح. والذي يخلصنا من إشكاليات هذه الآراء الثلاثة هو أن نجعل (إذ) حرفًا لاستفتاح القصة.

وأرى أنه يندرج تحت هذا النمط أيضًا الصورة التركيبية: (نبئهم عن .... + إذ) متبوعًا بالقص؛ فهذه الصورة التركيبية لها دلالة الإخبار بالنبأ التي تميز بها هذا النمط، وقد جاءت هذه الصورة التركيبية في قوله – تعالى–: ﴿ونَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٥١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ [الحِجْر : ٥١-٥٢]، ويذكر العكبري أن إذ هنا تحتمل وجهين: "أحدهما: هو مفعول؛ أي: اذكر إذ دخلوا. والثاني: أن يكون ظرفًا، وفي العامل وجهان، أحدهما: نفس ضيف؛ فإنه مصدر. وفي توجيه ذلك وجهان: أحدهما: أن يكون عاملا بنفسه... ويقوي ذلك أن الوصف الذي قام المصدر مقامه يجوز أن يعمل. والوجه الثاني:

---

(١) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٢٣٨/٤

(٢) ينظر: تفسير الكشاف ٦٢٤/١

(٣) البحر المحيط في التفسير ٢٢٧/٤

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٢٣٨/٤

أن يكون في الكلام حذف مضاف، تقديره: نبئهم عن ذوي ضيف إبراهيم؛ أي: أصحاب ضيافته، والمصدر على هذا مضاف إلى المفعول، والوجه الثاني من وجهي الظرف: أن يكون العامل محذوفًا، تقديره: عن خبر ضيف[١]"، ويلاحظ في كلام العكبرى الغلو في التقدير والتكلف في التأويل بسبب الالتزام بمعنى الظرفية أو المفعولية، مع أن المعنى مفهوم وواضح بدون تكلف، فقد جاءت إذ في هذا الموضع حرفًا لاستفتاح قصة سيدنا إبراهيم مع ضيفه من الملائكة.

النمط الثالث: (ذكر+ معمول المصدر مضافًا إليه...+ إذ)

يشتمل هذا النمط على المصدر (ذكر) مضافًا إلى معموله المفعول به، ثم تأتي إذ لاستفتاح القص، وهذا النمط التركيبي متفرع عن النمط التركيبي الأصل، وذلك بتطبيق قاعدة الإحلال، فقد حل المصدر (ذكر) محل الفعل (اذكر)، والمصدر يعمل عمل فعله، وهو بذلك يعد نمطًا مكتمل العناصر شأنه في ذلك شأن النمط السابق، وقد ورد هذا النمط في موضع واحد، والعجيب أنه ورد في سورة مريم أيضًا، وذلك في قوله –تعالى–: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ [مَرۡيَم: ٢-٣]، وهذا يعني أن القرآن الكريم قدم النمط الأصلي والقريب من الأصلي في أوائل التنزيل.

النمط الرابع: (واو استئناف+ مفعول لفعل محذوف+ إذ)

يتكون هذا النمط التركيبي من: [واو الاستئناف + مفعول به لفعل محذوف تقديره (اذكر)، وهو النبي الذي ستدور حوله أحداث القصة، أو القوم الذين ستدور حولهم القصة+ إذ]، وبعدها تبدأ أحداث القصة، وهذا النمط محول عن النمط الأول بقاعدة الحذف، وقد شاع هذا النمط في القرآن الكريم، فقد ورد في تسعة مواضع من القرآن الكريم، وهي قوله –تعالى–:

١- ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾ [الأَعۡرَاف: ٨٠]

٢- ﴿وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٧٦﴾ [الأَنبِيَاء: ٧٦]

٣- ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ﴾ [الأَنبِيَاء: ٧٨]

٤- ﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣﴾ [الأَنبِيَاء: ٨٣]

٥- ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأَنبِيَاء: ٨٧]

٦- ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٨٩﴾ [الأَنبِيَاء: ٨٩]

(١) التبيان في إعراب القرآن ٢/٧٨٤

٧- ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [النَّمل : ٥٤]

٨- ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ [العَنكَبُوت : ١٦]

٩- ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ [العَنكَبُوت : ٢٨]

ولقد تأمل الفراء السياق اللغوي الموسع للقرآن الكريم؛ فأدرك أن هذا النمط محول بالحذف عن النمط الأول، فيقول:" ومثله قوله: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [الأنبيَاء : ٧٦] و﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ [الأنبيَاء : ٨٧] ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ [العَنكَبُوت : ١٦] يجرى هذا على مثل ما قال في ص:﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [ص : ٤٥] ، ثم ذكر الأنبياء الذين من بعدهم بغير (واذكر)؛ لأن معناهم مُتَّفق معروفٌ، فجاز ذلك. ويستدل على أن (واذكروا) مضمرة مع (إذ) أنه قال: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفَال : ٢٦]، ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأَعْرَاف : ٨٦] ، فلو لم تكن هاهنا (وَٱذْكُرُوٓاْ) لاستدللت على أنها تُراد؛ لأنها قد ذُكرت قبل ذلك[١]. وهذا الذي صنعه الفراء بالاستدلال بالسياق الداخلي القرآني الموسع على أصل تراكيب القرآن الكريم، لم يصنعه الزمخشري وأبو حيان والعكبري وغيرهم؛ إذ لم ينتبهوا إلى أن نمطًا تركيبيًّا من أنماط إذ في القرآن الكريم قد يكون مبنيًّا على آخر سابق عليه في النزول، وأن علم المخاطب يُغني عن المحذوف من الأصل التركيبي، ولو تنبهوا لذلك لما وقعوا في البعد في التأويل والإغراق في التقدير.

النمط الخامس: النمط التركيبي الأكثر اختصارًا (وإذ...)

يُعَدُّ هذا النمط نمطًا محولًا عن النمط التركيبي الأصل بقاعدة الحذف أيضًا، ولكنه يختلف عن النمط السابق في أنه قد حُذف منه أكثر من عنصر؛ فقد حُذف منه الفعل وفاعله والمفعول به، ولم يبق سوى واو الاستئناف متبوعة بـ(إذ)، وقد شاع هذا النمط في السور المدنية (البقرة، وآل عمران، والمائدة، والأنفال، والحج، والأحزاب، والصف، والتحريم)، والسور المكية (الأنعام، والأعراف، والحجر، والإسراء، والكهف، والشعراء، ولقمان، وغافر، والزخرف، والأحقاف)، وبالرجوع إلى ترتيب سور القرآن حسب النزول، نجد أن النمط (الأصل) سابق في النزول على هذا النمط المتفرع منه؛ فسورة ص التي ورد بها النمط الأصل (ترتيبها ٣٨)، وكذلك سورة مريم (وترتيبها ٤٤)، أمَّا أول سورة مكية نزل فيها هذا النمط فهي سورة الأنعام و(ترتيبها ٥٥)، وهذا النمط التركيبي هو النمط الأكثر شيوعًا في القرآن الكريم، فقد جاء في (٣١) موضعًا، وهذه المواضع ليست كل المواضع التي وردت فيها (وإذ) في القرآن الكريم،

(١) معاني القرآن للفراء ٣٥/١

فقد اقتصرت على المواضع التي يبدأ فيها القص بـ (وإذ)، ونحيت ما ورد لغير هذا الاستعمال، فقد تستعمل (وإذ) داخل القصة الواحدة أكثر من مرة فلا تكون وظيفتها حينئذ استفتاح القص، بل تكون وظيفتها إحداث الترابط والتماسك النصي الشكلي والدلالي بين أجزاء القصة القرآنية، كما أنها قد تأتي لتفصيل أمر مجمل فتتكرر أيضًا بغرض إحداث التماسك النصي الشكلي والدلالي بين أجزاء التفصيل، وسأذكر كلا الاستعمالين في موضعيهما في المبحث الثاني من هذا البحث.

ومواضع هذا النمط في القرآن الكريم هي قوله -تعالى- :

١- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البَقَرَة : ٣٠]

٢- ﴿* وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البَقَرَة : ١٢٤]

٣- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم﴾ [البَقَرَة : ١٢٦]

٤- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ [البَقَرَة : ٢٦٠]

٥- ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ﴾ [آل عِمْرَان : ٤٢]

٦- ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا﴾ [آل عِمْرَان : ٨١]

٧- ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ [آل عِمْرَان : ١٢١]

٨- ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عِمْرَان : ١٨٧]

٩- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [المَائِدَة : ٢٠]

١٠-﴿* وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ [الأَنْعَام : ٧٤]

١١-﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأَعْرَاف : ١٤١]

١٢-﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [الأَعْرَاف : ١٦١]

١٣-﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأَنفَال : ٧]

١٤-﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأَنفَال : ٣٠]

١٥-﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾[الأَنفَال : ٣٢]

١٦- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إِبْرَاهِيم : ٣٥]

١٧-﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الحِجْر : ٢٨]

١٨-﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ [الإِسْرَاء : ٦٠]

١٩-﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [الإسْرَاء : ٦١]

٢٠-﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [الكَهْف : ٥٠]

٢١-﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۝٦٠﴾ [الكَهْف : ٦٠]

٢٢-﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ [الحَج : ٢٦]

٢٣-﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠﴾ [الشُّعَرَاء : ١٠]

٢٤-﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ [لُقْمَان : ١٣]

٢٥-﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأَحْزَاب : ٣٧]

٢٦-﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ [غَافِر : ٤٧]

٢٧-﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦﴾ [الزُّخْرُف : ٢٦]

٢٨-﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾ [الأَحْقَاف : ٢٩]

٢٩-﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصَّف : ٥]

٣٠-﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم ...﴾ [الصَّف : ٦]

٣١-﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ [التَّحْرِيم : ٣]

موقف النحاة من (إذ) في هذا النمط : لقد تعددت أقوال النحاة في إعراب (إذ) في هذه الصورة التركيبية، ففي الآية الأولى يرى أبو عبيدة معمر بن المثنى[١]، وابن قتيبة الدينوري[٢] أن (إذ) زائدة، وأن التقدير: وقال ربك للملائكة، وقد علق الزجاج على هذا الرأي بأنه " إقدام من أبي عبيدة؛ لأن القرآن لا ينبغي أن يتكلم فيه إلا بغاية تجري إلى الحق، و(إذ) معناها الوقت، وهي اسم فكيف يكون لغوًا، ومعناها الوقت؛ والحجة في (إذ) أنَّ الله –تعالى– ذكر خلق الناس وغيرهم، فكأنَّه قال: ابتدأ خلقكم إذ قال ربك للملائكة: (إني جاعل في الأرض خليفة)[٣]". وكذلك أنكر الإمام الطبري ذلك الرأي، بأنه لا يجوز أن يكون للكلمة معنى مفهوم في الكلام ويُحكم عليها بأنها لغو وزيادة[٤]، ويرى الإمام

(١) ينظر: مجاز القرآن ١١/١

(٢) ينظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ١٥٨

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ١٠٨، وأنكره أبو حيان أيضًا. ينظر: البحر المحيط في التفسير ٢٢٤/١

(٤) يقول الطبري تعليقًا على رأي أبي قتيبة في هذه الآية:" وغيرُ جائز إبطال حرف كان دليلًا على معنى في الكلام ... وكذلك معنى قول الله –جل ثناؤه–:"وإذ قال ربك للملائكة"، لو أُبطلت "إذ" وحذفت من الكلام، لاستحال عن معناه الذي هو به وفيه إذ". تفسير الطبري ٤٦٩/١

الطبري أن (وإذ) عطف على معنى الكلام السابق، فإنه "في قوله -تعالى ذكره-: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾، معنى: اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم، إذ خلقتكم ولم تكونوا شيئًا، وخلقت لكم ما في الأرض جميعًا، وسويت لكم ما في السماء، ثم عطف بقوله: (وإذ قال رَبُّك) على المعنى المقتضَى بقوله: (كيف تكفرون بالله)، إذ كان مقتضيًا ما وصفتُ من قوله: اذكروا نعمتي إذ فعلت بكم وفعلتُ، واذكروا فعلي بأبيكم آدم إذ قلتُ للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفةً ... وكان قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ مع ما بعده من النعم التي عددها عليهم ونبههم على مواقعها رد (إذ) على موضع ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ ؛ لأن معنى ذلك: اذكروا هذه من نعمي، وهذه التي قلت فيها للملائكة؛ فلما كانت الأولى مقتضية"إذ" عَطَف بـ "إذ" على موضعها في الأولى[١]".

ويرى ابن هشام أنها اسم للزمن الماضي مفعول به لفعل محذوف تقديره (اذكر)، فيقول:" والغالب على المذكورة في أوائل القصص في التنزيل أن تكون مفعولا به، بتقدير: (اذكر)، نحو: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ [البَقَرَة : ٣٠] ، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ [البَقَرَة : ٣٤] ، ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ [البَقَرَة : ٥٠] [٢]"، وأنكر ابن هشام أن تكون ظرفًا لـ(اذكر) محذوفًا؛ "لاقتضائه حينئذ الأمر بالذكر في ذلك الوقت، مع أن الأمر للاستقبال؛ وذلك الوقت قد مضى[٣]". وقد اتفق بعض المحدثين مع هذا الرأي بقوله: "وتطالعنا آيات كثيرة في أوائل القصص تشتمل على (إذ) بدون أن يسبقها عامل فيها، وأيسر إعراب لـ(إذ) هذه أن تكون مفعولًا لفعل محذوف تقديره: اذكر، واختيار هذا الفعل بخاصة؛ لأن بعض الآيات القرآنية الأخرى التي اشتملت على (إذ) ذكر هذا الفعل قبلها... والقرآن يفسر بعضه بعضًا[٤]" .

وجعلها بعض النحاة حرف توكيد بمعنى (قد)، وأن التقدير: وقد قال ربك للملائكة[٥]، وردَّ أبو حيان[٦] وابن هشام[٧] هذا الرأي بأنه ليس بشيء، وذلك أن الحكم عليها بالحرفية يتناقض مع ما قرراه

(١) تفسير الطبري ١/٤٧٠-٤٧٢
(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٢/٧-٨
(٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٢/٨
(٤) إذ في الدراسات القرآنية والنحوية ٢٠
(٥) ينظر: الجنى الداني ١٩٢
(٦) البحر المحيط في التفسير ١/٢٢٤
(٧) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٢/٨

من أنها ملازمة للظرفية، ولا تخرج عنها إلا بإضافة اسم الزمان إليها، وأتفق مع كونها حرفًا، ولكنني لا أعدها حرف توكيد؛ فإن هذا ليس إلا تأويلًا بعيدًا.

أمَّا الزمخشري فيرى أنَّها منصوبة بفعل محذوف تقديره (اذكر)[١]، وقد استدل ابن الشجري[٢] على صحة هذا الرأي بالإحالة إلى المواضع التي ذُكر فيها هذا العامل المحذوف، ومنها قوله –تعالى–: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡ﴾ [الأَعْرَاف : ٨٦]، وقد رد أبو حيان ذلك الرأي بأن هذا يخرجها عن بابها، وهو أنه "لا يتصرف فيها بغير الظرفية، أو بإضافة ظرف زمان إليها[٣]".

وبعد أن ذكر أبو حيان ثمانية آراء للنحاة في إعراب (إذ) في هذا النمط ذهب إلى أنه ظرف منصوب " بقوله: (قالوا أتجعل)، أي: وقت قول الله للملائكة: إني جاعل في الملائكة، قالوا: أتجعل، كما تقول في الكلام: إذ جئتني أكرمتك، أي : وقت مجيئك أكرمتك، وإذ قلت لي كذا قلت لك كذا، فانظر إلى حسن هذا الوجه السهل الواضح، وكيف لم يوفق أكثر الناس إلى القول به، وارتكبوا في دهياء وخبطوا خبط عشواء[٤]".

وأرى أن هذا النمط يعد نمطًا محولًا عن النمط التركيبي الأصل بقاعدة الحذف؛ فقد حذف منه الفعل وفاعله والمفعول به، ولم يبق سوى واو الاستئناف متبوعةً بـ(إذ)، وأعد إذ هنا حرفًا لاستفتاح القص، وهذا الرأي أكثر سهولة ويسرًا من رأي أبي حيان، فأبو حيان يجعل معنى الكلام معقودًا على أن كلام الملائكة جاء ابتداء، والواضح وضوح الشمس ولا خفاء فيه أن معنى الكلام معقود على ابتداء الله –عز وجل– الحوار مع الملائكة وإعلامهم بحكمه –عز وجل– الذي لا معقب له، وقضائه الذي لا راد له، وهو اتخاذه سيدنا آدم –عليه السلام– خليفة له في الأرض، وتتابعت أحداث القصة بعد هذا الإخبار، كما أن هذا التحليل متوافق مع مجمل دلالة الآيات التي تقطرها (إذ) بعدها.

(١) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٧٧/١

(٢) أمالي ابن الشجري ٢٦٨/١

(٣) البحر المحيط في التفسير ٢٢٥/١

(٤) المرجع السابق نفسه.

النمط السادس: (جملة محورية متكررة + إذ)

يبدأ هذا النمط التركيبي بجملة محورية تتكرر عدة مرات في السورة الواحدة لإحداث الترابط والتماسك النصي الشكلي والدلالي بين أجزاء السورة، ثم تتبع هذه الجملة المحورية بـ(إذ) متبوعة بالقصص، وقد ورد هذا النمط التركيبي في ثلاث سور قرآنية، وهي سورة الشعراء، وسورة الصافات، وسورة الذاريات، ويعد ذكر اسم النبي صاحب القصة أو القوم الذين تدور حولهم القصة في الجملة المحورية رابطًا مشتركًا بين الجمل المحوري المختلفة في السور الثلاثة، وتتعدد الأنماط التركيبية للجمل المحورية في هذه السور، ففي سورة الشعراء تأتي الجملة المحورية السابقة للقصص القرآني على هذا النحو التركيبي: [فعل ماض (كذب)+ فاعل(قوم أحد المرسلين) + المفعول به (المرسلين)]، وتتكرر هذه الجملة المحورية خمس مرات متبوعة بـ(إذ) متبوعة بافتتاح القصة الذي هو أيضًا جملة محورية تتكرر في المواضع الخمسة بنفس النمط التركيبي [فعل ماض (قال)+ شبه جملة (لهم)+ فاعل(أخوهم)+ بدل(اسم النبي المرسل لهم)+ جملة مقول القول (ألا تتقون)]، والمواضع الواردة في سورة الشعراء بهذا النمط التركيبي الفريد هي قوله –تعالى–:

١- ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الشُّعَرَاء : ١٠٥ - ١٠٦]

٢- ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء : ١٢٣ - ١٢٤]

٣- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الشُّعَرَاء : ١٤١ - ١٤٢]

٤- ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [الشُّعَرَاء : ١٦٠ - ١٦١]

٥- ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الشُّعَرَاء : ١٧٦ - ١٧٧]

وقد ذكرت الخاتمة نفسها لكل قصص الأنبياء الواردة في هذه السورة، وهي قوله –تعالى–: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾ [الشُّعَرَاء : ١٢١ - ١٢٢]، وهذا التكرار يؤدي إلى إحداث التماسك النصي، كما أنه يؤدي إلى تقرير المعنى وتعزيزه في نفس المتلقي، وهو أن أكثر الناس لا يؤمنون، وأن الله –تعالى– قوي عزيز قادر على إنزال أشد العذاب بهم، إلا أنه رحيم بعباده يقبل توبتهم، وفي سورة الصافات أيضًا يتكرر النمط التركيبي [وإن+ اسم إن(اسم النبي صاحب القصة)+ خبر إن شبه جملة (لمن المرسلين)]، وهذا التكرار يؤدي إلى إحداث التماسك النصي، والمواضع الواردة في سورة الشعراء بهذا النمط التركيبي الفريد هي قوله –تعالى–:

١- ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الصَّافَّات : ١٢٣ - ١٢٤]

٢- ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [الصَّافَّات : ١٣٣ - ١٣٤]

٣- ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ [الصَّافَّات : ١٣٩ - ١٤٠]

وفي سورة الذاريات يتكرر النمط التركيبي [واو الاستئناف+ حرف الجر في+ اسم مجرور (اسم النبي أو قومه)] يليه (إذ) متبوعًا بالقص القرآني، ومواضع ذلك قوله –تعالى–:

١- ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الذَّارِيَات : ٣٨]

٢- ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾ [الذَّارِيَات : ٤١]

٣- ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الذَّارِيَات : ٤٣]

وفي تكرار هذا النمط التركيبي إحداث للتماسك والترابط النصي الشكلي والموضوعي.

النمط السابع : (إشارة إلى صاحب القصة + إذ)

يتكون هذا النمط تركيبيًّا من [جملة متضمنة صاحب القصة أو أصحابها + إذ متبوعة بأحداث القصة]، وقد تكرر هذا النمط في عشرة مواضع من القرآن الكريم، وهي:

١-﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾ [الإِسْرَاء : ١٠١]

٢-﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الكَهْف : ٩ - ١٠]

٣-﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأَنبِيَاء : ٥١ - ٥٢]

٤-﴿* إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [القَصَص : ٧٦]

٥-﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الصَّافَّات : ٨٣ - ٨٥]

٦-﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القَلَم : ١٧]

٧- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾ [الشَّمْس : ١١ - ١٢]

٨- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [آل عِمْرَان : ٣٣ - ٣٥]

٩-﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكَهْف : ٢١]

موقف النحاة من (إذ) في هذا النمط : في كلِّ هذه المواضع يلتزم النحاة إعراب الظرفية لفعل قبلها أو المفعولية على الاستئناف بتقدير (اذكر)، على الرغم من وضوح المعنى؛ باعتبار إذ حرفًا لاستفتاح القصة التي سبق الإشارة إليها قبل إذ.

النمط الثامن: (استفهام عن (حديث) أو (نبأ) مضافًا إلى اسم النبي أو قومه + إذ ...).

قد تأتي (إذ) الدالة على التنبيه واستفتاح القص مسبوقة بالاستفهام التشويقي للقصة، فيأتي النمط تركيبيًّا على هذا النحو: (هل أتاك حديث... إذ؟)، أو (هل أتاك نبأ... إذ؟)، أو (ألم تر إلى... إذ؟)، وقد تعددت تأويلات المفسرين في الغرض من هذا الاستفهام؛ فذهب بعضهم إلى أنه للتقرير والإثبات[(١)]، وأن المعنى: قد أتاك، أو: أليس قد أتاك، وذهب بعضهم أنه للنفي، وأن المعنى: لم يأتك حديث موسى من قبل فاسمعه[(٢)]، وأتفق مع الإمام ابن عطية في أن هذا الاستفهام للتنبيه والتشويق، و"تنبيه النفس إلى استماع ما يورد عليها، وهذا كما تبدأ الرجل إذا أردت إخباره بأمر غريب، فتقول: أعلمت كذا وكذا، ثم تبدأ تخبره[(٣)]". وقد ورد هذا النمط في أربعة مواضع من القرآن الكريم:

١- ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾ [طه : ٩ - ١٠]

٢- ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا ۖ﴾ [الذَّارِيَات : ٢٤ - ٢٥]

٣- ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾ [النَّازِعَات : ١٥ - ١٦]

٤- ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ﴾ [ص : ٢١ - ٢٢]

---

(١) ينظر: لطائف الإشارات للقشيري ٤٤٧/٢، وتفسير البغوي ٢٥٦/٣، والدر المصون ١٥/٨

(٢) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٥٠٤/١٧، والنكت والعيون ٣٩٥/٣، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد ٤٠٣/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٧١/١١

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٣٨/٤

موقف النحاة من (إذ) في هذا النمط : اختلف النحاة في إعراب (إذ) في هذا النمط على رأيين[١]: الرأي الأول: يعربها "ظرفًا للحديث؛ لأنه حدث[٢]، أو لمضمر، أي: حين رأى نارًا كان كيت وكيت [٣]"، وذهب ابن عطية إلى أن "العامل في (إذ) ما تضمنه قوله (حديث) من معنى الفعل، وتقديره: وهل أتاك ما فعل موسى إذ رأى نارًا أو نحو هذا[٤]"، ويذهب الرأي الثاني إلى أن إذ: مفعول به ناصبه (اذكر)، "ولا يجوز أن يكون ظرفًا لـ (أتاك) كما زعم بعضهم؛ لأن الإتيان لم يكن في ذلك الوقت[٥]". وأرى أنه حرف استفتاح للقص، وهو ما التفت إليه أبو حيان من حيث المعنى؛ إذ قال:" وقيل: هل بمعنى قد، أي: قد أتاك، والظاهر خلاف هذا؛ لأن السورة مكية، والظاهر أنه لم يكن أطلعه على قصة موسى قبل هذا، وقيل : إنه استفهام معناه النفي، أي: ما أخبرناك قبل هذه السورة بقصة موسى، ونحن الآن قاصون قصته لتتسلى وتتأسى[٦]". فقد قرر أبو حيان أن هذا الاستفهام يدل على أن الله –عز وجل– سيقص قصة سيدنا موسى عليه السلام والتي لم يكن أخبر بها النبي ﷺ بها من قبل؛ وهذا يعضد ويقوي ما أذهب إليه من أن إذ حرف استفتاح للقص.

النمط التاسع : (ألم تر إلى ...+ إذ)

يشبه هذا النمطُ النمطَ التركيبي السابق؛ إذ يتكون هذا النمط تركيبيًّا من [أسلوب استفهام تشويقي (ألم تر إلى ...) متبوعًا بصاحب القصة متبوعًا بإذ]، وقد جاء ذلك في موضعين:

١- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ ﴾ [البَقَرَة : ٢٤٦]

٢- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ ﴾ [البَقَرَة : ٢٥٨]

---

(١) ينظر هذه الآراء في: تفسير الكشاف ٥٣/٣، والتبيان في إعراب القرآن٨٨٥/٢، والدر المصون ١٤/٨

(٢) البحر المحيط في التفسير ٣١٥/٧

(٣) تفسير الكشاف ٥٣/٣

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٨/٤

(٥) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد ٤٠٣/٤

(٦) البحر المحيط في التفسير ٣١٤/٧، ويقول النسفي:" إن كان هذا أولَ ما نزل من قصته فمعناه: لم يأتك حديث موسى إلى الآن، فقد أتاك الآن، فاسمعه فاعتبر به، وإن كان نزل قبله منه شيء؛ فهذا تذكير لذلك". التيسير في التفسير للنسفي ٢٦٣/١٠.

وقد تعددت آراء المفسرين في هذا الاستفهام عن الرؤية، فذهب الإمام الطبري إلى أنه استفهام عن رؤية القلب: " ألم تر، يا محمد، بقلبك، فتعلم بخبري إياك؟[١]"، وذهب بعضهم إلى أنه بمعنى بلوغ الخبر" ألم يبلغك خبرهم يا محمد؟[٢]"، وذهب بعضهم أنه بمعنى "ألم تُخبَر خبرًا يصير لك كرؤية العين في وقوع العلم[٣]"، وذهب بعضهم أنه للتعجب ولتنبيه المخاطب لما يتعجب منه وإيقافه عليه[٤]، فهي في الموضع الأول" للتعجب من قبائح اليهود[٥]". وقد ذهب الفراء إلى أن معنى التعجب مستفاد من إدخال (إلى) في هذا الموضع[٦]، وهو رأي الزجاج أيضًا، يقول:" هذه كلمة يوقف بها المخاطب على أمر يعجب منه، ... وهذا مما أعلمه النبي ﷺ حجةً على أهل الكتاب ومشركي العرب؛ لأنه نبأ لا يجوز أن يعلمه إلا من وقف عليه بقراءة كتاب أو تعليم معلم، أو بوحي من الله –عز وجل–، فقد علمت العرب الذين نشأ بينهم رسول الله ﷺ أنه أمي، وأنه لم يعلم التوراة والإنجيل وأخبار من مضى من الأنبياء، فلم يبق وجه تعلم منه هذه الأحاديث إلا الوحي[٧]".

موقف النحاة من (إذ) في هذا النمط : ذهب العكبري إلى أن إذ " بدل من بعد؛ لأنهما زمانان[٨]"، ورد أبو حيان هذا الرأي بأنه "لو كان بدلا من بعد لكان على تقدير العامل، وهو لا يصح دخوله عليه، أعني (من) الداخلة على بعد، لا تدخل على إذ، لا تقول: من إذ[٩]". وذهب أبو حيان وابن هشام[١٠] أن (إذ) في هذا التركيب متعلق بمحذوف تقديره: قصتهم أو خبرهم، ففي قوله –تعالى–:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾"، وهذا الرأي يعضد ما أذهب إليه من أن (إذ) حرف تنبيه واستفتاح للقص.

---

(١) تفسير الطبري ٢٣٥/٤، وذهب إلى هذا الرأي أيضًا ابن عطية . ينظر: المحرر الوجيز ٣٤٥/١

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية ٨١٥/١

(٣) التيسير في التفسير للنسفي ٢٩/٣

(٤) ينظر: معاني القرآن للنحاس ١/ ٢٧٥–٢٧٦، والهداية الى بلوغ النهاية ٨٥٦/١، والبحر المحيط ٥٥٨/٢

(٥) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) ٤٥٨/٣– ٤٥٩

(٦) ينظر: معاني القرآن للفراء ١٧٠/١

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٤٠/١

(٨) التبيان في إعراب القرآن ١٩٦/١

(٩) البحر المحيط في التفسير ٥٦٨/٢–٥٦٩

(١٠) ينظر: البحر المحيط في التفسير ٥٦٨/٢–٥٦٩، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٢٥/٦.

النمط العاشر : (ضرب الله مثلًا ...+ إذ ...) (واضرب لهم مثلًا ...+ إذ ...)

يتكون هذا النمط تركيبيًّا من (فعل ماضٍ مسند إلى الله –عز وجل– (ضرب الله)، أو فعل أمر موجه للنبي (اضرب لهم) ﷺ عاملًا في مفعوله (مثلًا)، ثم يذكر صاحب القصة متبوعًا بـ(إذ) متبوعةً بالقصص القرآني)، ولهذا النمط موضعان في القرآن الكريم، وهما قوله –تعالى–:

١– ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١﴾ [التَّحۡرِيم : ١١]

٢– ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤﴾ [يس : ١٣ - ١٤]

موقف النحاة من (إذ) في هذا النمط: يذكر العكبرى أربعة آراء في إعراب إذ[١] في الآية الثانية: أحدها: أنها ظرف، والعامل فيه محذوف، تقديره: واذكر خبر أصحاب القرية إذ جاءها. والثاني: أن تكون حالًا من المضاف المحذوف، والثالث: أن يكون منصوبًا بفعل محذوف، أي: وبين إذ جاءها المرسلون، والرابع: أن يكون بدلا من أصحاب القرية بدل الاشتمال؛ لأن الأحيان تشتمل على الجثث، وعقب على هذا الرأي – وهو رأي الزمخشري[٢]– بأنه بعيد؛ لأن الزمان إذا لم يكن حالا من الجثة، ولا خبرا عنها، ولا وصفا لها، لم يكن بدلا منها. ويتضح لنا جليًّا أن المسوق بعد تركيب (ضرب الله مثلا) قصة مكتملة لأصحاب القرية (أنطاكية) مع رسل الله؛ وقد قدر بعض النحاة مضافًا محذوفًا تقديره (خبر)، أي: خبر أصحاب القرية[٣]، ويقدره الزمخشري (قصة)، "أي: اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية[٤]"، وهذه الآراء تعضد أن (إذ) بعد هذا التركيب لاستفتاح القص.

النمط الحادي عشر: (نحن نقص عليك ....+ إذ...)

يتكون هذا النمط تركيبيًّا من جملة اسمية [المبتدأ الضمير (نحن)، يحيل إلى الله –عز وجل– مسندًا إليه جملة فعلية فعلها مضارع (نقص)، متبوعًا بشبه الجملة (عليك)، وضمير الخطاب هنا يحيل

(١) التبيان في إعراب القرآن ١٠٧٩/٢

(٢) تفسير الكشاف ٧/٤

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٨١/٤، ومعاني القرآن للنحاس ٤٨٢/٥

(٤) تفسير الكشاف ٧/٤

إلى النبي ﷺ، ثم يأتي معمول (نقص) -أحسن القصص أو نبأهم-، ثم تأتي (إذ) متبوعةً بالقصص القرآني]، ولهذا النمط موضعان في القرآن الكريم، وهما قوله -تعالى-:

١- ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ [يُوسُف : ٣ - ٤]

٢- ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝١٣ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ﴾ [الكَهْف : ١٣ - ١٤]

النمط الثاني عشر: (إشارة إلى موضوع القصة + إذ...)

يتكون هذا النمط تركيبيًّا من إشارة إلى موضوع القصة، ثم تأتي إذ مفتتحة القص القرآني، وجاء هذا النمط في آيتين كريمتين، وتمثلت الإشارة إلى موضوع القصة في قوله-تعالى-: (إذ يختصمون)، وقد جاء هذا النمط في موضعين من القرآن الكريم:

١- ﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝٦٩ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٧٠ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١﴾ [ص : ٦٩ - ٧١]

٢- ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝٤٤ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٤٥﴾ [آل عِمْرَان : ٤٤ - ٤٥]

ففي الآيتين الكريمتين ذكر موضوع القصة بعد إذ الأولى، ثم بدأت أحداثها بعد إذ الثانية، ففي الآية الأولى كان موضوع القصة (اختصام الملأ الأعلى الملائكة في خلق الله آدم -عليه السلام)[(١)]، وفي

(١) ينقل الإمام الطبري عن أئمة التفسير ما يؤكد أن إذ الثانية هي استفتاح لأحداث القصة المشار إليها سابقًا، فيقول: " قوله ﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ ... الملائكة حين شوورا في خلق آدم، فاختصموا فيه، وقالوا: لا تجعل في الأرض خليفة ...، عن السدي: ﴿بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ هو: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ...، عن قتادة ... قال: هم الملائكة، كانت خصومتهم في شأن آدم حين قال ربك للملائكة: ﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ ... حتى بلغ (سَاجِدِينَ)، وحين قال: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ...حتى بلغ ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾، ففي هذا اختصم الملأ الأعلى". تفسير الطبري ٢٠/١٤١-١٤٢

الآية الثانية (اختصام الملائكة والسيدة مريم –عليها السلام–)[١]، ويرى بعض النحاة أن" إذ منصوبة بـ (يختصمون)، ويكون المعنى أنهم اختصموا بسبب مريم وعيسى، وجائز أن يكون نصب (إذ) على (وما كنت لديهم)[٢]". وأرى أن الحديث بين الملائكة والسيدة عيسى بن مريم –عليهما السلام– ليس سببًا للاختصام، بل هو يمثل حدث الاختصام ذاته؛ ومن ثم فإنني أرى أن (إذ) هنا حرف لاستفتاح القصة التي سبق الإشارة إليها.

النمط الثالث عشر: (تلقى القرآن ...+ إذ...)

هذا النمط التركيبي هو الأقل ورودًا في القرآن الكريم من أنماط (إذ) التي لاستفتاح القص، ويتكون هذا النمط تركيبيًّا من جملة (تلقى القرآن من عليم حكيم) ، ثم تأتي إذ مفتتحة القص القرآني، وجاء هذا النمط في موضع واحد في القرآن الكريم، وهو قوله–تعالى–: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧﴾ [النَّمل : ٦ - ٧]

وللنحاة في إعراب (إذ) في هذه الآية رأيان: أحدهما: أنه ظرف منصوب بـ(عليم)[٣]، والثاني: أنه مفعول به لفعل محذوف تقديره (اذكر)[٤] ، وأرى أن إذ لاستفتاح القص، فإن التقدير "اذكر قصة موسى[٥]"، ويقول الزمخشري: "كأنه قال على أثر ذلك: خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى[٦]"؛ وهذا التقدير يقوي ما أذهب إليه من أنها حرف لاستفتاح القص.

---

(١) يقول الإمام الطبري:" وما كنت يا محمد عند القوم إذ قالت الملائكة لمريم: يا مريم إن الله يبشرك ببشرى من عنده، هي ولد لك اسمه المسيح عيسى ابن مريم". تفسير الطبري٥/٤٠٧، ويرى بعض المفسرين أن التقدير يختصمون في كفالتها". ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن ٣٨/٢، وتفسير الكشاف ٣٦٢/١، ولكنني أرى أن في هذا التأويل تكرارًا لمضمون الكلام السابق (أيهم يكفل مريم)، وأذهب إلى أن الاختصام هو الواقع في حديث الملائكة مع السيدة مريم، كما هو واضح من تفسير الإمام الطبري، وكما هو واضح من مجمل الآيات.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤١١/١، وينظر: إعراب القرآن للنحاس١٥٨/١.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ٨/١٨

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٠٨/٤، والهداية الى بلوغ النهاية ٥٣٦٩/٨ ، والتيسير في التفسير ٣٢٥/١١، والتبيان في إعراب القرآن ١٠٠٣/٢

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ١٠٨

(٦) تفسير الكشاف ٣٤٩/٣

المطلب الثاني: (إذ) التعويضيَّة (للإحالة) .

تمتلك اللغة العربية مجموعة كبيرة من العناصر الإحالية، ومن ذلك الضمائر وأسماء الإشارة، وهذه العناصر الإحالية يشترط فيها مجموعة من الشروط التركيبية المتعلقة بالتطابق في النوع والعدد، وأرى أن هناك نوعًا آخر للعناصر الإحالية، لا يشترط فيه هذا التطابق النوعي والعددي، وهي الكلمات المنونة بتنوين العوض، ومنها إذ التعويضية، التي تحيل إلى جملة سابقة أو عدة جمل، وهي تحقق ما يحققه العناصر الإحالية المعروفة من اختصار واختزال للكلام، وتوفير للجهد بتجنب التكرار، ومن ثك يمكن القول بأن إذ في هذه الحالة مفرغة من معناها الدال على الوقت كما يذكر النحاة القدماء، ويساعدنا على هذا القول أن إضافة الظرف الدال على الوقت إلى إذ المنونة التي تدل أيضًا على الوقت لا فائدة منه في المعنى، فما معنى وقت الوقت؟!، فإذ مفرغة من معناها لتحقيق هذه الوظيفة الإحالية.

وإذ التعويضية هي إذ المنونة، مفردة، نحو: إذٍ، أو مضافة إلى اسم من أسماء الزمان، مثل: حينئذٍ، ويومئذٍ، وساعتئذٍ، وهي أداة من أدوات التماسك النصي، فهي للإحالة والربط بين الجمل المتتالية في النص، وتحدث إلى جانب هذه الوظيفة نوعًا من الاختصار؛ إذ إنها تغني عن تكرار الجمل السابقة عليها مرة أخرى، يقول ابن يعيش:" وسُمي هذا الضرب من التنوين تنوين عوض؛ لأنه عوض من جملة كان الظرف الذي هو "إذ" مضافًا إليها...، فلمَّا حُذفت تلك الجملة للعلم بموضعها، عُوض منها التنوين اختصارًا، وذلك نحو قوله –تعالى–: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ [الزَّلْزَلَة : ١ - ٤]، والأصل: يومَئِذ تُزلزل الأرض زلزالها، وتخرج الأرض أثقالها، ويقول الإنسان: ما لها؟. فحذفت هذه الجمل الثلاث، وناب منابها التنوين[١]".

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ١٥٥/٥، ويوضح الأزهري أن دلالة (حينئذ) وأشباهها هو التباعد عن وقت الحال، فيقول: "وأمَّا (إذ) الموصولة بالأوقات، فإن العرب تصلها في الكتابة بها في أوقات معدودة، في: حينئذ، ويومئذ، وليلتئذ، وغداتئذ، وعشيتئذ، وساعتئذ، وعامئذ. ولم يقولوا: الآنئذ؛ لأن (الآن) أقرب ما يكون في الحال، فلمَّا لم يتحول هذا الاسم عن وقت الحال، ولم يتباعد عن ساعتك التي أنت فيها لم يتمكن، ولذلك نصب في كل وجه، ولما أرادوا أن يباعدوها ويحولوها من حال إلى حال، ولم تنقد ... عكسوا ليُعرف بها وقت ما تباعد من الحال، فقالوا: حينئذٍ، وقالوا: الآن، لساعتك في التقريب؛ وفي البعد: حينئذٍ، ونزل بمنزلتها الساعة، وساعتئذ، وصار في حدهما: اليوم، ويومئذ. والحروف التي وصفناها على ميزان ذلك مخصوصة بتوقيت لم يخص به سائر أزمان الأزمنة". تهذيب اللغة ٣٧/١٥

ويندرج تحت هذه الدلالة الرئيسة نمطان فرعيَّان: أولهما الإحالة إلى حدث سيحدث في المستقبل، والآخر الإحالة إلى حدث انتهى في الماضي، وتحت كل نمط من هذين أنماط تركيبية مختلفة، ويمكن عرض هذه الأنماط على التفصيل التالي:

النمط الأول: إذ للإحالة إلى حدث مستقبل.

تحيل إذ التعويضية المحيلة إلى حدث مستقبل، ممثلة في: التركيب الإضافي (يومئذٍ)، و(حينئذٍ)، في القرآن الكريم إلى (أحداث يوم القيامة) في كل مواضعها، وتتعدد الأنماط التركيبية لهذا النمط، فقد تسبق باسم من أسماء يوم القيامة فتحيل إليه، وقد تسبق بما يدل على الزمن مثل كلمات: (يوم...، وإذا...، وإن...، والمضارع الدال على الاستقبال).

أ- الإحالة إلى أسماء يوم القيامة:

قد يحيل التركيب الإضافي (يومئذ) إلى لفظ (الآخرة)، وهو من أسماء يوم القيامة، ومن ذلك قوله -تعالى-: ﴿وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ۝٢١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ۝٢٤﴾ [القِيَامَة : ٢١ - ٢٤]، وقد يحيل إلى يوم البعث، كما في قوله-تعالى-:﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٥٦ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ۝٥٧﴾ [الرُّوم : ٥٦ - ٥٧]

وقد يحيل إلى (يوم الفصل)، كما في قوله -تعالى-: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢١ * ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٢٣ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ۝٢٤ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ۝٢٦ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٧ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ۝٢٨ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٢٩ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٖۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ۝٣٠ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ۝٣١ فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ۝٣٢ فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ۝٣٣﴾ [الصَّافَّات: ١٩- ٣٣] ، وكذلك في قوله -تعالى-: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾ [المُرْسَلَات : ١٤ - ١٥] ، وتكررت هذه الإحالة في الآيات ١٩، ٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٥، ٤٧، ٤٩.

وقد يحيل إلى (يوم الدين)، كما في قوله -تعالى-: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ۝١٩﴾ [الانفِطَار : ١٧ - ١٩]

وقد يحيل إلى (الغاشية) كما في قوله –تعالى–: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩﴾ [الغَاشِيَة : ١ - ٩] ، وقد يحيل إلى (يوم عظيم) كما في قوله –تعالى–: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ۝١٦﴾ [الأَنْعَام : ١٥ - ١٦]، وقد تحيل (يومئذ) إلى يوم القيامة غير ملفوظ بل مدلول عليه بمضمون الكلام قبله، يقول –تعالى–: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩﴾ [غَافِر : ٨ - ٩]

ب– الإحالة إلى كلمة (يوم) مضافة أو موصوفة.

تحيل (إذ) التعويضية في هذا النمط التركيبي إلى الظرف (يوم) مضافًا إلى جملة فعلية فعلها مضارع يدل على الاستقبال، ويدل هذا التركيب الإضافي في كل مواضعه على يوم القيامة؛ ومن ثم يمكن اعتبار هذا النمط مساويًا للنمط السابق دلاليًّا، غير أن التعبير هنا عن يوم القيامة يكون بصورة ممتدة تعبر عن أحداثها تخويفًا للسامع من عذابها وأهوالها، كما أن اختيار الفعل المضارع يناسب ذلك الغرض المقصود، فهو لاستحضار الصورة، ومواضع هذه الصورة التركيبية هي قوله –تعالى–:

١– ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝٤٨ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝٤٩﴾ [إِبْرَاهِيم : ٤٨ - ٤٩]

٢– ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۝١٠٢﴾ [طه : ١٠٢]

٣– ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٢٣ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٤ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ۝٢٥﴾ [النُّور : ٢٣ - ٢٥]

٤– ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ۝٢٢ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝٢٣ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ۝٢٤﴾ [الفُرْقَان : ٢٢ - ٢٤]

٥– ﴿ويَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ۝٢٥ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفُرْقَان : ٢٥ - ٢٦]

٦- ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [النَّمل : ٨٧ - ٨٩]

٧- ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ ﴾ [القَصص : ٦٥ - ٦٦]

٨- ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الرُّوم : ١٤]

٩- ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الجَاثِيَة : ٢٧]

١٠- ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الطُّور : ٩ - ١١]

١١- ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾﴾ [المَعَارِج : ٨ - ١١]

١٢-﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾﴾ [النَّازِعَات : ٦ - ٨]

١٣- ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾﴾ [عَبَس : ٣٤ - ٤٠]

وقد تحيل (إذ) إلى كلمة (يوم) موصوفة، كما في قوله –تعالى–: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾ [الشُّورَى : ٤٧]، فقد أحالت إلى التركيب الوصفي (يومٌ لا مردَّ له)، وكذلك أحالت إلى التركيب الوصفي (يومٍ عظيمٍ) في قوله–تعالى–: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المُطَفِّفِين: ٤ - ١٥]

ج- الإحالة إلى كلمة (إذا) مضافة:

١- ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النِّسَاء : ٤١ - ٤٢]

٢- ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأَنفَال : ١٤ - ١٦]

٣- ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ﴾ [النَّحل : ٨٦ - ٨٧]

٤- ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المُؤمِنُون : ١٠١]

٥- ﴿قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴿٩٨﴾ * وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ﴿٩٩﴾﴾ [الكَهف : ٩٨ - ٩٩]

٦- ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ﴿٣٩﴾﴾ [الرَّحمَن : ٣٧ - ٣٩]

٧- ﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [الوَاقِعَة : ٨٣ - ٨٤]

٨- ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴿١٨﴾﴾ [الحَاقَّة : ١٣ - ١٨]

٩- ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾﴾ [المُدَّثِّر : ٨ - ٩]

١٠- ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ﴿١٠﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القِيَامَة: ٦ - ١٣]

١١- ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ [القِيَامَة : ٢٦ - ٣٠]

١٢- ﴿كَلَّآۖ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾﴾ [الفَجر : ٢١ - ٢٥]

١٣- ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٦﴾﴾ [الزَّلزَلَة : ١ - ٦]

١٤- ﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ﴿١١﴾﴾ [العَادِيَات : ٩ - ١١]

د- الإحالة إلى فعل مضارع يدل على الحال أو الاستقبال:

ومواضع هذا النمط في القرآن الكريم قوله ﷻ :

١- ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨﴾ [الأَعْرَاف : ٦ - ٨]

٢- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ۝١٠٧ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۝١٠٨ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ۝١٠٩﴾ [طه : ١٠٥ - ١٠٩]

٣- ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ۝٥٥ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۚ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٥٦﴾ [الحَج : ٥٥- ٥٦]

٤- ﴿فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤﴾ [الرُّوم : ٣ - ٤]

٥- ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ۝٤٣﴾ [الرُّوم : ٤٣]

٦- ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التَّكَاثُر : ٦ - ٨]

النمط الثاني: تنوين (إذ) للإحالة على حدث انتهى.

ومواضع هذا النمط في القرآن الكريم هي قوله -ﷻ-:

١- ﴿قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عِمْرَان : ١٦٧]

٢- ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۚ﴾ [هُود : ٦٦]

٣- ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠﴾ [الشُّعَرَاء : ٢٠]

ففي الآية الأولى أحالت (يومئذ) إلى يوم أحد الذي قال فيه المنافقون حين دعوا لقتال المشركين: ﴿قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ﴾ [آل عِمْرَان : ١٦٧]، وفي الآية الثانية ذهب الزمخشري إلى أن (يومئذ) في الآية الأخيرة يراد بها يوم القيامة(١)، وذهب ابن عطية إلى أنه يراد به يوم التعذيب(٢)، وذهب أبو حيان

(١) تفسير الكشاف ٤٠٩/٢

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١٨٦/٣

إلى أن التقدير" ومن فضيحة يوم إذ جاء الأمر وحل بهم[١]". واعترض أبو حيان على رأي الزمخشري بأن "التنوين في (إذ) تنوين للعوض، ولم يتقدم إلا قوله: (فلما جاء أمرنا) ولم تتقدم جملة فيها ذكر يوم القيامة[٢]". وأتفق مع رأي ابن عطية وأبي حيان في أنها تحيل إلى يوم التعذيب الذي جاء وحل بهم، فهي إحالة إلى حدث انتهى.

أمَّا الآية الثالثة فقد ذهب الرضي إلى" أن (إذ) إذا حذف المضاف إليه منه، وأبدل منه التنوين في غير نحو (يومئذ) جاز فتحه أيضًا، ومنه قوله –تعالى– حاكيًا: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الشُّعَرَاء : ٢٠] ، أي: فعلتها إذ ربيتني؛ إذ لا معنى للجزاء ههنا، كما قيل في (إذنْ) إنها للجواب والجزاء[٣]".

وهكذا نرى أن **إذ التعويضية** جاءت في جميع مواضعها **في القرآن الكريم** محيلة إلى (يوم القيامة) أو اسم من أسمائها، أو محيلة إلى جمل تشتمل على أحداث يوم القيامة، إلا موضعين اثنين، أحالت فيهما إلى غزوة أحد، وإلى جملة (ربتيني).

وجاءت إذ التعويضية في كلام رسول الله ﷺ محيلة إلى يوم القيامة المذكور قبلها، كما في حديث أبي سعيد الخدري: " قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟، قَالَ: (هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا). قُلْنَا: لَا، قَالَ:(فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ **يَوْمَئِذٍ** إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا)[٤]". وتكررت الإحالة في هذا الحديث نفسه من رواية أبي هريرة، يقول النبي ﷺ :" وَلَا يَتَكَلَّمُ **يَوْمَئِذٍ** إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ **يَوْمَئِذٍ**: اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ[٥]".

وقد تحيل إذ التعويضية في كلام رسول الله ﷺ إلى جمل سابقة كما في قوله ﷺ:

(١) البحر المحيط ١٧٨/٦

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ٤١٥/٢

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: الفتن، باب: قول الله –تعالى–: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القِيَامَة : ٢٢ - ٢٣] ، (٢٧٠٦/٦)، (رقم: ٧٠٠١)، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ .

(٥) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: صفة الصلاة، باب: فضل السجود، (١/ ٢٧٧)، (رقم: ٧٧٣) ، من حديث أبي هريرة ﷺ .

١- "لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ رُعْبُ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ[١]".
٢- "يَأْتِي الدَّجَّالُ، ...، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ، وَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ، أَوْ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ [٢]" .
٣- "إِذَا اسْتَجْنَحَ اللَّيْلُ، أَوْ: كان جُنْحُ اللَّيْلِ، فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ [٣]".

ففي الحديث الأول تحيل (يومئذ) إلى المفهوم من الجملة السابقة عليه، وهو خروج الدجال، وفي الحديث الثاني تحيل (يومئذ) إلى جملة (يأتي الدجال)، وفي الحديث الثالث تحيل (حينئذ) إلى جملة (استجنح الليل).

أمَّا في كلام صحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين، فقد وردت (يومئذ) و(حينئذ) كثيرًا بمعنى (في هذا الوقت) وهو الوقت المفهوم من سياق الكلام السابق عليها، وقد أحصيت لذلك أربعة وتسعين موضعًا[٤]، وهي إحالة إلى أحداث انتهت.

ومن مواضع هذا النمط في الشعر العربي القديم قول أبي ذؤيب الهذلي[٥]:

نَهَيْتُــكَ عَــنْ طِلَابِــكَ أُمَّ عَمْــرٍو بِعَاقِبَــــةٍ وأَنْــــتَ إذٍ صَـــــحِيحُ

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: أبواب فضائل المدينة، باب: لا يدخل الدجال المدينة، (٦٦٤/٢)، (رقم: ١٧٨٠)، من حديث أبي بكرة ﷺ .
(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: الفتن، باب: لا يدخل الدجال المدينة، (٢/ ٦٦٥)، (رقم: ١٧٨٣)، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ .
(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده ، (١١٩٥/٣)، (رقم: ٣١٠٦)، من حديث جابر ﷺ.
(٤) ينظر: صحيح البخاري، الأحاديث رقم: ٩٠، ٧٦، ٢٨٠، ٢٩٢، ٣٧٥، ٤٨٣، ٦٣٩، ٦٩٩، ٧٧١، ٧٧٣، ٧٩٣، ٨٢٣، ١٣٠٠، ١٥٤٠، ١٦٤٩، ١٦٩٨، ١٧٠٢، ١٨٢٥، ١٩٨٦، ٢١٧٥، ٢١٩٩، ٢٢٠٢، ٢٣٣٢، ٢٥١٨، ٢٥٥٥، ٢٥٦١، ٢٥٦٤، ٢٥٨١، ٢٥٩١، ٢٧٨٢، ٢٨٠٠، ٢٨٧٧، ٢٨٩٠، ٢٩٠٤، ٢٩٤٣، ٢٩٦١، ٢٩٨١، ٣٢٤٤،٣١٨٤، ٣٤٩٧، ٣٥٧٠، ٣٦٠٠، ٣٦٨١، ٣٦٩٢، ٣٦٩٤، ٣٧٥٦، ٣٧٨١، ٣٨٠٩، ٣٨١٧، ٣٨٣٧، ٣٨٤٧، ٣٨٥٨، ٣٩١٠، ٣٩٢١، ٤٠١٢، ٤٠٣٠، ٤٠٣٥، ٤٠٤٣، ٤٠٨٢، ٤١٥٣، ٤١٥٦، ٤٢٢٥، ٤٣٤٠، ٤٤٧٣، ٨٤٤١، ٤٩١٧، ٥٠٥٣، ٥٠٦٤، ٥٣١٤، ٥٢٦١، ٥٢٦٢، ٥٢٧٨، ٥٦١٠، ٥٧٠٤، ٥٨١٥، ٥٨٢١، ٥٨٣٨، ٥٩٤١، ٦٠٦٦، ٦٣٤٦، ٦٦٩٦، ٦٧٩٣، ٦٩١٢، ٦٩٨٥.
(٥) البيت من الوافر، وهو لأبي ذؤيب الهذلي، في: ديوانه ٩٩، والأصول في النحو ١٤٤/٢.

فقد أحالت إذ التعويضية في هذا البيت إلى الجملة السابقة عليها، والمعنى" وأنت إذ نهيتك عن طلابها صحيح[١]"، "فحذف الجملة، وعوض منها التنوين[٢]"، ومنه أيضًا قول الشَّنفرَى[٣]:

إِذَا مَـــا جِئْـــتِ مَـــا أَنْهَـــاكِ عَنْـــهُ وَلَـــمْ أُنْكِـــرْ عَلَيْـــكِ فَطَلِّقِينِـــي
فَأَنْـــتِ البَعْـــلُ يَوْمَئِـــذٍ فَقُومِـــي بِسَـــوْطِكِ لَا أَبَـــا لَـــكِ فَاضْـــرِبِينِي

فقد أحالت إذ التعويضية في البيت الثاني إلى جملة (لم أنكر عليك ما أنهاك عنه) في البيت الأول، وكذلك في قول الرَّبيع بن أبي الحُقَيْق[٤]:

تَرْمِـــي إِلَـــى بِـــأَطْرَافِ الهَـــوَانِ وَمَـــا كَانَـــتْ رِكَـــابِي بِـــهِ مَرْحُولَـــةً ذُلُـــلَا
فَسَـــوْفَ تَعْلَـــمُ إِمَّـــا كَنْـــتَ تَجْهَلُـــهُ مَـــنْ خَـــفَّ يَوْمِئِـــذٍ فِـــي الـــوَزْنِ أَوْ ثَقُـــلَا

ومن هذا النمط أيضًا قول مالك بن جعدة التغلبي[٥]:

فإِنَّـــكَ يـــومَ تَـــأْتيني حَرِيبًـــا تَحِـــلُّ عَلَـــيَّ يَوْمَئِـــذٍ نُـــذورُ

فقد أحالت (إذ) التعويضية في الشطر الثاني إلى جملة (تأتيني) في الشطر الأول، ويقول الدَّاخِل بن حرَام الهذلي[٦]:

دلَفْـــتُ لَهَـــا أَوَانئِـــذٍ بسَـــهْمٍ نَحِـــيضٍ لـــم تُخَوِّنْـــه الشُّـــرُوجُ

موقف النحاة من (إذ) في هذا النمط : اتفق جمهور النحاة على أن التنوين اللاحق لإذ المنونة في: حينئذ وساعتئذ ووقتئذ ويومئذ، ومثل هذه التراكيب هو تنوين التعويض، وأن هذه التراكيب إضافية، أضيفت فيها هذه الظروف (حين وساعة ووقت ويوم،...) إلى (إذ)، وأن (إذ) اسم مبني على السكون، وقد حُرِّك بالكسر تخلصًا من التقاء الساكنين –أي: سكونه، وسكون التنوين– في محل جر بالإضافة،

(١) الأصول في النحو ١٤٤/٢
(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٢٠٢/٢
(٣) البيت من الوافر، وهو للشنفرى في : ديوانه ٧٩، والوحشيات (الحماسة الصغرى)، ص ٣٨.
(٤) البيت من البسيط، وهو للرَّبيع بن أبي الحُقَيْق في: الوحشيات (الحماسة الصغرى)، ص ٩٢.
(٥) البيت من الوافر، وهو لمالك بن جعدة في: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١١٤٦، ولسان العرب ٥٢١/١٣
(٦) البيت من الوافر، وهو للدَّاخِل بن حرَام الهذلي في: ديوان الهذليين ١٠٠/٣، وخزانة الأدب ٦/ ٥٤٢، وشرح أبيات مغني اللبيب ٢٠١/٢، ونُسب لشاعر من هذيل في: تهذيب اللغة ٣٨/١٥، ولسان العرب ٤٦٢/١٥

وهي مضافة في التقدير إلى جملة محذوفة معوض منها بالتنوين، ويرى الرضي أن ظروف الزمان هذه ليست مضافة إلى إذ؛ إذ يرى أن في ذلك تعسفًا من جهة المعنى، فقولنا: حين وقت كذا، ويوم وقت كذا، وساعة وقت كذا، ونحو ذلك: غريب الاستعمال مستهجن المعنى(١)، ويرى أن "هذه الظروف التي التي كلها في الظاهر مضافة إلى (إذ) ليست بمضافة إليه، بل إلى الجمل المحذوفة، إلا أنهم لما حذفوا تلك الجمل لدلالة سياق الكلام عليها لم يحسن أن يبدل منها تنوين لاحق بهذه الظروف، كما أبدل في كل وبعض وإذ؛ لأن (كلًّا) وأخويها لازمة للإضافة معنى، فيستدل بالمعنى على حذف المضاف إليه، ويتعين ذلك المحذوف بالقرينة الحاصلة من سياق الكلام ، فيكمل المراد ... وأما هذه الظروف فليست بلازمة للإضافة معنى، فلو قلت : جاءني زيد، كنت حينا كذا، وقصدت حذف المضاف إليه وإبدال تنوين (حينًا) منه، أي: حين ذلك، لم يكن ظاهرًا في ذلك المعنى، بل ظاهره أن التنوين فيه للتنكير. فلما خافوا التباس تنوين العوض في : يومًا، وحينًا، وساعةً بغيره من تنوين التمكن والتنكير، توصلوا إلى الدلالة على الجمل المحذوفة المضاف إليها هي في الأصل بأن أبدلوا من تلك الظروف بدل الكل ظرفًا لازمًا للإضافة إلى الجمل، خفيفًا في اللفظ صالحًا لجميع أنواع الأزمنة، من الساعة والحين والليلة، وغير ذلك، متعودًا أن تحذف الجمل المضافة إليها هو، مع إبدال التنوين منها، كما في قوله: وأنت إذٍ صحيح، فجيء بـ(إذ) بعد هذه الظروف بدلا منها مع تنوين العوض؛ ليكون التنوين كأنه ثابت في الظروف المبدل منها؛ لأن بدل الكل مع قيامه مقام المبدل منه في المعنى: مطلق على ما أطلق عليه فكأنه هو... ولما تُوُصِّل بـ(إذ) إلى الغرض المذكور، وكانت الظروف المذكورة قد تكون مستقبلة وماضية جرد (إذ) عن معنى الماضي وصار لمطلق الظرفية، فيجوز استعماله في المستقبل أيضًا، كقوله – تعالى-: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المُرْسَلَات : ١٥] ونحوه(٢)". وهذا الكلام هو اجتهاد من الإمام الرضي لتفسير اجتماع الظرفين (حين) و(إذ)، ولكنني أرى أنه –وكما قرر النحاة أنفسهم– أن الكلمة العربية يحدث لها بالتركيب مع غيرها معنًى جديدًا، وتصير لها أحكام دلالية وتركيبية مختلفة عن حالة إفرادها؛ ومن ثم فإنني أرى أن حينئذ وما أشبهها من الظروف المضافة إلى إذ المنونة كلمة واحدة تدل على الإحالة إلى زمن متباعد عن زمن الحال مُضِيًّا أو استقبالًا، يفسره سياق الكلام.

(١) ينظر: شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ٤٩٧/٢

(٢) شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ٤٩٧/٢-٤٩٩

المطلب الثالث: (إذ) الحينيَّة .

يقرر النحاة أن (إذ) من ظروف الأزمنة، وأنها تدل على ما مضى من الزمان، وهذه هي الدلالة هي الأساسية وتكاد تكون الوحيدة في النحو العربي، وهي مبهمة؛ لأنها تقع على الأزمنة الماضية كلها، ولا تختص ببعضها دون بعض، ومن ثم فهي تحتاج دائمًا إلى ما يوضحها ويكشف معناها، "وإيضاحُها يكون بجملة بعدها، فصارت بمنزلةِ بعض الاسم، وضارعت (الذي)، والأسماء الناقصة المحتاجة إلى الصلات؛ لأن الأسماء موضوعة للدلالة على المسميات، والتمييز بين بعضها وبعض، فإذا وُجد منها ما يتوقف معناه على ما بعده، حل مع ما بعده من تمامه محل الاسم الواحد، وصار هو بنفسه بمنزلة بعض الاسم، وبعض الاسم مبني؛ لأن بعض الاسم لا يُوضع للدلالة على المعنى ... وما بعد (إذْ) في موضع خفض بإضافة (إذ) إليه، إذ كانت زمانًا، والزمانُ يضاف إلى الجمل [(١)]".

أنماط (إذ الحينية) التركيبية:

يرى النحاة أن إذ "توضح بالمبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، فمثال المبتدأ والخبر قولك: "جئتك إذ زيد قائم"، ومثال الفعل والفاعل قولك: "جئتك إذ قام زيد"، و"إذ يقوم زيد". وإذا كان الفعل مضارعًا؛ حسن تقديمه وتأخيره، نحو: "جئتك إذ يقوم زيد"، و"إذ زيد يقوم". وإذا كان ماضيًا، لم يحسن تأخيره، لا يكادون يقولون: "إذ زيد قام"؛ وذلك لأن "إذ" ظرف زمان ماض، فإذا كان معك فعل ماض، استحبوا إيلاءه إياه لتشاكل معناهما[(٢)]"، **وبفحص القرآن الكريم وكلام النبي ﷺ وصحابته وكلام العرب يتبين لنا أن لـ(إذ الحينية) أربعة أنماط تركيبية:**

النمط الأول: أن يليها جملة فعلية، ودليل الحينية فيها في هذا النمط إمكانية إحلال الظرف (حين) أو (وقت) محلها واستبدال المصدر بالفعل الواقع بعدها، ويتفرع عن هذا النمط نمطان:

أ- أن يلي إذ جملة فعلية فعلها ماضي لإفادة الثبوت والتحقيق والتوكيد، وذلك في قوله ﷻ:

١- ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾ [البَقَرَة : ١٣٣]

٢- ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأَنْعَام : ٤٣]

٣- ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الأَنْعَام : ١٤٤]

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٣/ ١٢٠-١٢١

(٢) المرجع السابق ١٢١/٣

٤- ﴿فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥﴾ [الأَعْرَاف : ٥]

٥- ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَ﴾ [الأَعْرَاف : ١٢]

٦- ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [الأَنفَال : ١٧]

٧- ﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ [يُوسُف : ٥١]

٨- ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ۝١٠٢﴾ [يُوسُف : ١٠٢]

٩- ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾ [الإِسْرَاء : ٩٤]

١٠-﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ﴾ [طه : ٩٢-٩٣]

١١-﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا﴾ [النُّور : ١٢]

١٢-﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ﴾ [النُّور : ١٦]

١٣-﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٤٤﴾ [القَصَص : ٤٤]

١٤-﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾ [القَصَص : ٤٦]

١٥-﴿۞ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ إِذۡ جَآءَهُۥٓ﴾ [الزُّمَر : ٣٢]

١٦- ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ﴾ [الحَشْر : ١٤ - ١٦]

ومن شواهد هذا النمط في كلام رسول الله ﷺ قوله ﷺ:

١- "يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا مَنَعَكَ أَنْ تَثْبُتَ إِذْ أَمَرْتُكَ؟!(١)".

٢- "كُلُّ كَلْمٍ يُكْلَمُهُ الْمُسْلِمُ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهَا إِذْ طُعِنَتْ...(٢)".

٣- "يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا مَنَعَكَ إِذْ أَوْمَأْتُ إِلَيْكَ أَنْ لَا تَكُونَ مَضَيْتَ(٣)".

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: الجماعة والإمامة، باب: من دخل ليؤم الناس، فجاء الإمام الأول، فتأخر الآخر أو لم يتأخر، جازت صلاته (٢٤٢/١)، (رقم: ٦٥٢)، من حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: الوضوء، باب: ما يقع من النَّجاسات في السمن والماء ، (٩٣/١)، (رقم: ٢٣٥)، من حديث أبي هريرة ﷺ .

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: الأحكام، باب: الإمام يأتي قوما فيصلح بينهم ، (٢٦٢٩/٦)، (رقم: ٦٧٦٧)، من حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ .

ومن شواهد هذا النمط في كلام صحابة رسول الله ﷺ:

١- "فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ إِذْ جَاءَ رَسُولُ عُثْمَانَ فَأَتَيْتُهُ ...[(١)]".

٢- "أَسْلَمْتَ إِذْ كَفَرُوا، وَأَقْبَلْتَ إِذْ أَدْبَرُوا، وَوَفَيْتَ إِذْ غَدَرُوا، وَعَرَفْتَ إِذْ أَنْكَرُوا...[(٢)]".

ب- أن يلي (إذ) جملة فعلية فعلها مضارع لاستحضار الصورة حية أمام المخاطب، وذلك في قوله سبحانه وتعالى:

١- ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آل عِمْرَان : ٤٤]

٢- ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ [يُونُس : ٦١]

٣- ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الإِسْرَاء : ٤٧]

٤- ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الشُّعَرَاء : ٧٢]

٥- ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [ص : ٦٩]

٦- ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [غَافِر : ١٠]

٧- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [ق : ١٦ - ١٧]

٨- ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النَّجْم : ١٣ - ١٧]

ومن مواضع هذا النمط في الشعر العربي القديم أيضًا قول أمية بن أبي الصلت[(٣)]:

فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِي فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي، (١٣٥٢/٣)، (رقم: ٣٤٩٣)، من حديث عبيد الله بن عَدِي بن الخِيار رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: المغازي، باب: قصة وفد طيئ، وحديث عدي بن حاتم (١٥٩٦/٤)، (رقم: ٤١٣٣)، من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه، والنص لعمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٣) البيت من الطويل، وهو لأمية بن أبي الصلت في: ديوانه ١٨٢، شرح ديوان الحماسة ٥٣٦، وليحيى بن سعيد في: العققة والبررة ٢/ ٣٥٥، وعيون الأخبار ٩٩/٣.

النمط الثاني: أن يليها جملة اسمية، مع إمكانية إحلال (حين كان الشأن) محلها.

ومن شواهد هذا النمط قول جميل بن معمر(١):

أَتَنْسَـــــينَ أيَّامَنَـــــا بـــــاللِّوَى وأيَّامَنَـــــا بِـــــذَوِي الأَجْفَـــــرِ
وإذْ لِمَّتـــــي كَجَنَـــــاحِ الغُـــــرَا بِ تُطْلَـــــى بِالمِسْـــــكِ وَالعَنْبَـــــرِ

ويتضح من سياق الأبيات أن الشاعر أراد عتاب محبوبته على تعييرها إياه بكبر السن؛ فذكرها بماضي الأيام التي قضياها معًا، **حين كانت** لمته شديدة السواد تفوح منها العطور الذكية، فإذ هنا دالة على المضي، وهي بمعنى حين كان الشأن كذا وكذا، وهي هنا تركيبيًّا اسم مبني ناب مناب ظرف الزمان (حين) والفعل الناسخ (كان) واسمها المحذوف (ضمير الشأن).

النمط الثالث: أن يليها اسم إشارة

ومن شواهد هذا النمط في كلام صحابة رسول الله ﷺ قول السيدة عائشة –رضي الله عنها–:" فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ **إِذْ ذَاكَ** خِفَافًا لَمْ يَثْقُلْنَ، وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ(٢)". ومن شواهد هذا النمط في الشعر العربي قول أمية بن أبي الصلت(٣):

كَانَـــتْ مَنَـــازِلُهُمْ إِذْ ذَاكَ ظَـــاهِرَةٌ فِيهَـــا الفَـــرَادِيسُ وَالفُومَـــانُ وَالبَصَـــلُ

النمط الرابع: أن يليها جملة اسمية

ومن هذا النمط في شعر العرب قول عبد الله بن الزِّبَعرَى(٤):

يَـــا رَسُـــولَ المَلِيـــكِ إِنَّ لِسَانِـــي رَاتِـــقٌ مَـــا فَتَقْـــتُ إِذْ أَنَـــا بُـــورُ

(١) البيت من المتقارب، وهو لجميل بن معمر في: ديوانه ٥٩، والدر الفريد وبيت القصيد ٣٥/١١

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: الشهادات، باب: تعديل النساءِ بعضِهن بعضًا، (٩٤٢/٢)، (رقم: ٢٥١٨)، من حديث السيدة عائشة ﵂ .

(٣) البيت من البسيط، وهو لأمية بن أبي الصلت في ديوانه ٨٨، والمحرر الوجيز ٥٤٦/٣، والبحر المحيط في التفسير ٣٥٤/١، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٥٥٩/٧

(٤) البيت من الخفيف، وهو لعبد الله بن الزِّبَعرَى في: ديوانه ٣٦، مجاز القرآن ٣٤٠/١، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٣٨٩، وأمالي القالي ٢١٣/٢، ونُسب لأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب في: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٣٨/٣

المطلب الرابع: (إذ) التعليليَّة

لا يجيز جمهور النحاة ورود إذ حرفًا للتعليل[١]؛ إذ منعوا خروج (إذ) عن الاسمية الظرفية، وذلك رغم أنه قد ورد في كتاب سيبويه ما يفيد بأنها قد تأتي بمعنى التعليل، وأنها حينئذ تخرج عن الاسمية الظرفية إلى الحرفية التعليلية[٢]؛ وقد استدل سيبويه على رأيه بأنه يصح أن تحل (إذ) محل (أمَّا) في قول العرب:" أمَّا أنت منطلقًا انطلقت معك"؛ وهي بهذا تحل محل حرف دال على التعليل، وهو لام التعليل؛ لأن معنى هذا التركيب وتأويله عند النحاة: "لأن كنت منطلقًا انطلقت معك". وقد أورد أبو حيان رأي سيبويه في هذا الصدد، إلا أنه نفى أن يكون مراد سيبويه هو تحول (إذ) من الاسمية الظرفية إلى الحرفية الدالة على التعليل، وتمسك بأنها لا تخرج عن الظرفية[٣]". وقد صرح ابن مالك بمجيء (إذ) دالة على التعليل، كما أشار إلى التفات سيبويه إلى هذه الدلالة، وصرح بتحولها إلى الحرفية[٤]، وأتفق مع هذا الرأي الأخير، ويدل على ذلك كثرة الشواهد عليها من القرآن وكلام النبي

---

(١) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٢٣/٢، وينظر البحر المحيط في التفسير ٤٣٧/٩ – ٤٣٨.

(٢) يقول سيبويه في معنى هذا التركيب: "حملوه على الفعل، حتى صار كأنهم قالوا: إذ صرتَ منطلقًا فأنا أنطلق معك"؛ لأنَّها في معنى(إذْ) في هذا الموضع و(إذ) في معناها أيضًا في هذا الموضع، إلا أن (إذ) لا يحذف معها الفعل". الكتاب لسيبويه١/ ٢٩٤، فقد بين سيبويه اتفاقهما دلاليًّا وافتراقهما تركيبيًّا؛ فإذ التعليلية لا يحذف الفعل الموضح للسبب بعدها لكنه يحذف بعد (أمَّا).

(٣) يقول أبو حيان الأندلسي: "والجواب أن كلام سيبويه لا دليل فيه على ما ذكر، وإنما معناه: لأنها في معنى إذ في السببية ليس غير، بل ظواهر الكتاب في غير هذا الموضع تدل على أنها لا تخرج من الظرفية. وأما البيت والآية فلا دليل فيهما؛ لأن العامل في إذ في الآية محذوف، والتقدير: ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب وجب لكم ذلك إذ ظلمتم أنفسكم بالكفر والطغيان، فإذ ظرف ماض، فيه معنى التسبيب، وكذلك لا يكون التقدير في البيت وأمثاله... ودل على أن ما اختاره المصنف هو قول لبعض المتأخرين، وأن ظاهر كلام سيبويه مخالف لهذا القول". التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل ٧/ ٢٩٨.

(٤) شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ٢٠٨–٢٠٩ وينظر: الجنى الداني في حروف المعاني ص١٨٩، وقد اتفق أستاذنا الدكتور عبد العال سالم مكرم مع الرأي القائل بحرفية إذ الدالة على التعليل. ينظر: إذ في الدراسات القرآنية والنحوية ٣٠، ولكنه اقتصر على الشواهد القرآنية التي وردت استشهادًا على هذه الدلالة في كتب النحاة والمفسرين، وحين تعرض سيادته لنموذج من نماذج هذه الدلالة الواردة في القرآن الكريم، وهي قوله –تعالى–: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ٣٩﴾ [الزُّخۡرُف : ٣٩] ذهب إلى القول بأنها بدل. ينظر: إذ في الدراسات القرآنية والنحوية ٢٤، وهذا يدل على أن دراسة سيادته لم تتخط شواهد النحاة في كل دلالة، وأنه سار في فلك آراء القدماء مرجحًا رأيًا على رأي فقط، دون النظر في مجمل السياق القرآني الموسع، وحصر الشواهد التي تجتمع في كل دلالة.

وصحابته والشعر العربي القديم، ولو ذهبنا نتأول معنى الظرفية في كل هذه الشواهد لوقعنا في حيرة وتخبط ليس له نهاية.

الأنماط التركيبية لـ(إذ التعليلية):

تأتي (إذ) في اللسان العربي حرفًا خالصًا للتعليل مجردًا من الزمن، وقد تأتي بهذا المعنى سابقةً لما تعلله، أو تاليةً له، أو معترضة بين أجزائه، ويمكن إيضاح هذه الأنماط على النحو التالي:

النمط الأول: أن تقع الجملة التعليلية المصدرة بـ(إذ) معترضةً بين أجزاء الجملة المُعلَّلة.

وقد ورد هذا النمط في موضعين من القرآن الكريم، وهما قوله –تعالى–:

١- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابَا رَّحِيمَا ٦٤﴾ [النِّسَاء : ٦٤]

٢- ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ٣٩﴾ [الزُّخْرُف : ٣٩]

ففي الموضع الثاني نجد أن جملة (إذ ظلمتم) جملة اعتراضية غرضها تعليل نفي إسناد الفعل (ينفعكم) إلى الفاعل المصدر المؤول من أن ومعموليها (أنكم في العذاب مشتركون)، وقد أشار ابن جني إلى معنى التعليل في هذه الآية الكريمة معترضًا على دلالة الزمنية الماضية التي تمسك بها أستاذه أبو علي الفارسي[(١)]، إلى الحد الذي شبه فيه ابن جني دلالة (إذ) في هذه الآية بدلالة المفعول لأجله، إلا أن أبا علي الفارسي –رحمه الله– أصرَّ على أن (إذ) تدل على الزمن الماضي، وأعربها بدلا من الظرف السابق (اليوم)، ووجَّه اختلاف الزمن بين العامل (ينفعكم) الدال على الحال والاستقبال والظرف (إذ) الدال على الماضي، بأنه" لما كانت الدار الآخرة تلي الدار الدنيا لا فاصل بينهما، إنما هي هذه فهذه، صار ما يقع في الآخرة كأنه واقع في الدنيا؛ فلذلك أجرى اليوم وهو الآخرة مجرى وقت الظلم، وهو قوله: إذ ظلمتم، ووقت الظلم إنما كان في الدنيا، فإن لم تفعل هذا وترتكبه بقي "إذ ظلمتم" غير متعلق بشيء، فيصير ما قاله أبو علي إلى أنه كأنه أبدل "إذ ظلمتم" من اليوم، أو كرره عليه، وهو كأنه هو[(٢)]"، ورغم أن ابن هشام أشار إلى مجيء إذ دالة على التعليل في بعض سياقاتها، وأنها حينئذ

(١) الخصائص ٢/١٧٤- ١٧٥

(٢) المرجع السابق نفسه، وقد اتفق أستاذنا الدكتور عبد العال سالم مكرم مع هذا الرأي. ينظر: إذ في الدراسات القرآنية والنحوية ٢٤

تكون حرفًا[١]، ولكنه بعد ذلك عاد يتأول تركيب (إذ ظلمتم)؛ ليعيده إلى زمرة الظروف الزمانية، فقال:" وقيل المعنى: إذ ثبت ظلمكم، وقيل: التقدير بعد إذ ظلمتم، وعليهما أيضًا فـ(إذ) بدل من اليوم[٢]".

وإذا تأملنا السياق القرآني لهذه الآية الكريمة وجدنا أن الحديث في هذه الآية الكريمة والآيات السابقة عليها ينعقد حول مصير الكافرين الذين يعرضون عن ذكر الرحمن وقرنائهم من الشياطين الذين يزينون لهم هذا الإعراض؛ وهذا الإعراض هو ظلم بوضع الأمر في غير موضعه من الامتثال لأمر الله وفطرة الإسلام التي فطر الله الناس عليها، ويخدعهم اجتماعهم على الباطل فيظنون أنهم على الحق والصواب، وأنهم منتفعون بهذه الغواية الجماعية في الدنيا والآخرة، ولكنهم حين يجتمعون جميعًا في العذاب لن ينتفعوا بهذا الاجتماع؛ لأنه اجتماع وبيل في نار جهنم، وهذا يؤكد أن دلالة (إذ) هنا هي محض التعليل، ولا دلالة للزمن الماضي فيها، فالزمن الماضي مكتسب من صيغة الفعل (ظلمتم)، فقد وقع منهم هذا الظلم في الحياة الدنيا، والله –عزَّ وجلَّ– سيعاقبهم بسبب ظلمهم الذي اجتمعوا عليه في الدنيا عذابًا في الآخرة لا تأسي ولا تصبر فيه بين الظالمين المجتمعين بعضهم بعضًا، ولا بين الظالمين وقرنائهم من الشياطين الذين حسَّنوا لهم هذا الظلم وزينوه لهم في الدنيا.

الخصائص الدلالية لهذا النمط : يدل هذا النمط على إرادة الله – عز وجل– إلزام المعلول بعلته، فيرى ابن جني في تحليل هذه الآية الكريمة دلاليًّا أنها " معقودة على دخول الظرف الذي هو "إذ" فيها، وموجوده في أثنائها، ألا ترى أن عدم انتفاعهم بمشاركة أمثالهم لهم في العذاب إنما سببه وعلته ظلمهم، فإذا كان كذلك كان احتياج الجملة إليه نحوًا من احتياجها إلى المفعول له، نحو قولك: قصدتك رغبة في برِّك، وأتيتك طمعًا في صلتك، ألا ترى أن معناه: أنكم عدمتم سلوة التأسِّي بمن شاركم في العذاب لأجل ظلمكم فيما مضى[٣]".

ونخلص من ذلك إلى القول بأن (إذ) حرف دال على التعليل؛ لما فيه من الأخذ بالمعنى الواضح الأسرع تواردًا إلى الذهن، بناء على السياق الذي وردت فيه الآية، أما القول بأنه ظرف دال على الزمن الماضي وتأول التركيب بأنه (بعد إذ ظلمتم) أو (إذ ثبت ظلمكم)؛ فهذه تأويلات قسريَّة تلوي عنق المعنى الواضح لتراعي قواعد النحو، وهذا غير صحيح في التعامل مع النص القرآني الذي يتسم بخصوصيات تركيبيَّة ذات قدرة عجيبة على إيضاح المعنى في أجلى صورة.

---

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٢٣/٢

(٢) المرجع السابق ٢٤/٢

(٣) الخصائص ١٧٤/٢– ١٧٥

ومن مواضع هذا النمط في كلام رسول الله ﷺ قوله ﷺ حين سُئِلَ عن أولاد المشركين: "**الله، إِذْ خَلَقَهُمْ، أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**[(١)]".

ومن مواضع هذا النمط في كلام صحابة رسول الله ﷺ قول سيدنا حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه:" يَا رَسُولَ الله لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ، يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، **فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي**، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا، وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ[(٢)]".

ومن مواضع هذا النمط في الشعر العربي القديم قول معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه[(٣)]:

أَمَرْتُـكَ أَمْـرًا حَازِمًـا فَعَصَـيْتَنِي فَجَدُّك **إِذْ لَـمْ تَقْبَلِ النُّصْحَ** عَاثِرُ

ومن مواضع هذا النمط في الشعر العربي القديم أيضا قول ليلى الأخيلية (ت٨٠هـ) [(٤)]:

دَعَـا قَابِضًـا وَالمَـوتُ يخْفُقُ ظِلُّـهُ وَمَـا قَـابِضٌ **إِذْ لَـمْ يُجِـبْ** بِنَجِيـبِ

فالشاعرة تقصد أن حبيبها توبة دعا ابن عمه قابضًا لنجدته في الوقعة التي قتل فيها توبة، وتنفي عن قابض أي مظهر من مظاهر النجابة؛ لأنه لم يجب نداء توبة، ولم ينجده من القتل.

ومن مواضع هذا النمط في الشعر العربي القديم أيضًا قول جرير[(٥)]:

لَوْ كُنْتِ كَذَّبْتِ **إِذْ لَمْ تُؤتَ فَاحِشَةٌ** قومًـا يَلِجُّـونَ فِـي جَـوْرٍ وَإِفْنَـادِ

فالجملة المصدرة بإذ (إذ لم تؤت فاحشة) تعليل معترض لجملة (لو كنت كذبت قومًا يلجون في جور وإفناد)، والمعنى أنه كان عليه أن يكذب المفترين؛ لأنه "لم يفش أمر قبيح ولم يذكر[(٦)]".

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين (٤٦٥/١)، (رقم: ١٣١٧)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: الجهاد والسير، باب: الجاسوس (١٠٩٥/٣)، (رقم: ٢٨٤٥)، من حديث علي رضي الله عنه ، والنص لحاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه.

(٣) البيت من الطويل، وهو لمعاوية بن أبي سفيان في: ديوانه ٧٠، والدر الفريد وبيت القصيد ٢٣٥/٤

(٤) البيت من الطويل، وهو لليلى الأخيلية في: ديوانها ٥٩.

(٥) البيت من البسيط، وهو لجرير في: ديوانه ٧٤٢/٢.

(٦) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ٧٤٢/٢

النمط الثاني: أن تقع الجملة المصدرة بـ(إذ) التعليلية تعليلا لما قبلها (تعليل لاحق).

وقد ورد هذا النمط في اثني عشر موضعًا من القرآن الكريم ، وهي قوله ﷻ :

١- ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البَقَرَة : ١٣٠ - ١٣١]

٢-﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾﴾ [النِّسَاء : ٧٢]

٣- ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأَنْعَام : ٩١]

٤- ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [التَّوْبَة : ٢٥]

٥- ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشُّعَرَاء : ٩٦ - ٩٨]

٦- ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الكَهْف : ١٦]

٧-﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الصَّافَّات : ٨٣ - ٨٥]

٨- ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [فُصِّلَت : ١٣ - ١٤]

٩-﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [الأَحْقَاف : ٢٦]

١٠- ﴿* لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفَتْح : ١٨]

١١- ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾ [النَّجم : ٣٢]

١٢- ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦﴾ [البُرُوج : ٤ - ٦]

وفي الموضع الأول من هذا النمط يتضح من السياق اللغوي وارتباط الآية الكريمة المصدرة بـ(إذ) بما قبلها وما بعدها أن (إذ) تعليلية؛ فالله – سبحانه وتعالى– بعد أن قرر اصطفاءه سيدنا إبراهيم – عليه السلام– بالنبوة والرسالة والعصمة وأنه في الآخرة من الصالحين الفائزين بحسن المآب والثواب، علَّل ذلك الاصطفاء بإخلاص سيدنا إبراهيم العبادة لله وخضوعه له بالطاعة، وهو المعنى المستفاد من دلالة الفعل المكرَّر بصيغة الأمر الإنشائي (أسلِم) وصيغة الماضي الذي أعقب الطلب مباشرة (أسلمت) بدلالته على تمام الخضوع وثبوته ورسوخه وتعلقه بلفظ الجلالة بحرف الجر اللام المفيد الاختصاص المطلق (لله) مع الثناء على الله – عز وجل– بإدخال قيد النعت (رب العالمين)؛ ليكتمل الإيمان بألوهيته وربوبيته – عز وجل–، مع عكوفه على دعوة ذريته من بعده إلى طاعة الله– عز وجل– والخضوع له ﷻ.

ويؤكد السياق القرآني الأوسع ما أذهب إليه؛ فقد أكد القرآن الكريم حرص سيدنا إبراهيم على الدعوة إلى الإسلام والإيمان بالله في مواضع متعددة، ومن هذه المواضع قوله –تعالى–: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةَۢ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٨﴾ [الزُّخرُف : ٢٨] أي: الإسلام في ولده ومن بعده، وكذلك قوله – تعالى– على لسان سيدنا إبراهيم وابنه سيدنا إسماعيل –عليهما السلام–: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨﴾ [البَقَرَة : ١٢٨] ، وقوله –تعالى–: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحَج : ٧٨].

وقد اتفق المفسرون والنحاة على أن (إذ) في هذا الموضع ظرف زمان في موضع نصب، فهي تدل على الوقت؛ ومن ثم طفقوا يبحثون عن عامل النصب يحددونه إن كان مذكورًا ويتلمسون وجه العلاقة بينه وبين (إذ)، ويقدرونه إن رأوه محذوفًا، ويعدد العكبري الأوجه الإعرابية المحتملة في إذ بقوله: "إذ: ظرف لاصطفيناه، ويجوز أن يكون بدلًا من قوله (في الدنيا)، ويجوز أن يكون التقدير: اذكر إذ قال[١]" .

(١) التبيان في إعراب القرآن ١/١١٧

وقد أدرك الإمام الرازي معنى التعليل المدلول عليه بـ(إذ) التعليلية في هذه الآيات الكريمة فقال:" فكأنه –تعالى– ذكر الاصطفاء ثم عقَّبه بذكر سبب الاصطفاء، فكأنه لما أسلم نفسه لعبادة الله –تعالى– وخضع لها وانقاد علم –تعالى– من حاله أنه لا يتغير على الأوقات، وأنه مستمرٌ على هذه الطريقة، وهو مع ذلك مطهرٌ من كل الذنوب، فعند ذلك اختاره للرسالة واختصه بها؛ لأنه –تعالى– لا يختار للرسالة إلا من هذا حالُه في البدء والعاقبة[١]". ومع ذلك الشرح المستفيض لدلالة التعليل إلا أنه –رحمه الله– لم يفلت من قصر دلالة (إذ) على الظرفية الزمانية وكونها معمولة لعامل مذكور وهو (اصطفيناه) أو محذوف تقديره (اذكر)[٢]".

وكذلك أشار الإمام البيضاوي إلى دلالة التعليل في إذ؛ ولكنه مع ذلك لم يجعلها الدلالة الرئيسة بل ذكرها عرضًا في بحثه عن عامل النصب في (إذ)، فقال: "ظرف لاصطفيناه، أو تعليل له، أو منصوب بإضمار اذكر، كأنه قيل: اذكر ذلك الوقت؛ لتعلم أنه المصطفى الصالح المستحق للإمامة والتقدم، وأنه نال ما نال بالمبادرة إلى الإذعان وإخلاص السر حين دعاه ربه وأخطر بباله دلائله المؤدية إلى المعرفة الداعية إلى الإسلام[٣]".

وأرى أن (إذ) هنا حرف تعليل؛ فلقد وضعت العرب حروف المعاني للتعبير عن المعاني المتنوعة التي تدخل على الإسناد المطلق، فوضعت ليت للتمنى، ولعل للرجاء، والهمزة وهل للاستفهام، وألا للعرض، وألا وهلا ولولا ولوما للتحضيض، وكذلك وضعوا حروفًا لمعنى النداء...إلخ ، فماذا يمنع من جعل إذ حرفا للتعليل إلا أحادية النظرة لهذا العنصر اللغوي وفرض دلالة له في بعض استعمالاته على جميع استعمالاته، وكذلك فإن للتعليل في اللسان العربي أكثر من وسيلة، ومنها المفعول لأجله منصوبًا أو مسبوقًا باللام، وقد استعملت بعض حروف الجر للدلالة على التعليل، كالباء في قوله –تعالى–: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عِمْرَان : ١٥٩] ، و(في) في قوله ﷺ : "دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ[٤]"؛ ومن ثم فلا مانع من أن تكون إذ للتعليل، وممَّا يعضد إمكانية ذلك أيضًا أنها وضعت على حرفين، والأكثر في الحروف أنها موضوعة على حرف أو حرفين.

---

(١) مفاتيح الغيب ٦٣/٤

(٢) مفاتيح الغيب ٦٣/٤

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٠٧/١

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: بدء الخلق، باب: خمس من الدواب فواسق، يقتلن في الحرم (١٢٠٥/٣)، (رقم: ٣١٤٠)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

ومن مواضع هذا النمط في كلام رسول الله ﷺ قوله ﷺ: (قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، فَعَتَبَ الله عَلَيْهِ؛ **إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ**...[١]".

ومن مواضع هذا النمط في كلام صحابة رسول الله ﷺ ما يلي:

١- " قَدْ فَعَلْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ؛ **إِذْ كَانَ الْإِسْلَامُ قَلِيلًا**، فَكَانَ الرَّجُلُ يُفْتَنُ فِي دِينِهِ...[٢]".

٢- " وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا؛ **إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ**... [٣]".

وممَّا يمكن الاستشهاد به من كلام العرب على مجيء (إذ) دالة على معنى التعليل بهذه الصورة التركيبية قول لبيد بن ربيعة[٤]:

لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يَبُورُ فَعَالُهُمْ **إِذْ لَا يَمِيلُ مَعَ الْهَوَى أَحْلَامُهَا**

وتتأكد دلالة التعليل في هذا البيت، فالمعنى: لا تتدنس أعراضهم ولا تفسد أفعالهم، وعلَّة ذلك الامتناع من الدنس وفعل القبيح أنهم يملكون زمام عقولهم فلا يتركونها وهواها؛ فإن ترك النفس وهواها سعي لها في رداها. ولا يمكن بحال من الأحوال أن يكون مقصد لبيد بن ربيعة من (إذ) في البيت السابق هو تقييد الإسناد الواقع في الجملة التالية له بالزمن الماضي؛ لأن ذلك يتناقض مع غرضه من الفخر بطُهر أعراض قومه وعصمتهم من الزلل، فـ(إذ) هنا دالة على تعليل صفة المدح الواقعة في صدر البيت برسوخ صفة مدح أخرى ذكرها في عجز البيت على جهة الدوام والاستمرار، مع عدم التقيد بأي زمن، وهي صفة عدم اتباع الهوى. ومن هذا النمط أيضًا في شعر لبيد بن ربيعة قوله[٥]:

الحَمْدُ للَّهِ **إِذْ لَمْ يَأْتِنِي أَجَلِي** حَتَّى لَبِسْتُ مِنَ الإِسْلَامِ سِرْبَالَا

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: العلم، باب: ما يستحب للعالم إذا سئل: أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله (٥٦/١)، (رقم: ١٢٢)، من حديث سعيد بن جبير ﷺ .

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأَنفَال : ٣٩] ، (١٧٠٥/٤)، (رقم: ٤٣٧٣)، من حديث عبد الله بن عمر ﷺ .

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: المغازي، باب: غزوة الطائف (١٥٧٤/٤)، (رقم: ٤٠٧٥)، من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم ﷺ.

(٤) البيت من الكامل، وهو للبيد بن ربيعة العامري، في ديوانه ١١٦، وشرح المعلقات السبع ٢٠٠

(٥) البيت من البسيط، ونُسب للبيد بن ربيعة في الشعر والشعراء ٢٦٧/١، والدر الفريد وبيت القصيد ٨/٢، ونُسب لقردة بن نفاثة السَّلولي في: نهاية الأرب في فنون الأدب ١٢٠/١٨

وقال ذو الإصبع العدواني[١]:

مَـاذَا عَلـيَّ وَإِنْ كُنـتُم ذَوِي كَـرَمٍ أَنْ لَا أُحِـبُّكُمْ **إِذْ لَـمْ تُحِبُّـــونِي**

ومن هذا النمط التركيبي أيضًا قول أبي الأسود الدؤلي[٢]:

حَسَدُوا الفَتَى **إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ** فَـالقَومُ أَعْـدَاءٌ لَـهُ وَخُصُـومُ

ومثله قول الفرزدق[٣]:

فَأَصْـبَحُوا قَـدْ أَعَـادَ اللهُ نِعْمَـتَهُم **إِذْ هُـمْ قُـرَيشٌ** وإِذْ مَا مِثْلَهُم بَشَرُ

ومثله قول ابن ميادة [٤]:

تَفاقَـدَ قَـوْمِي إِذْ يَبِيعُـون مُهْجَتِـي بِجَارِيَـةٍ بَهْـرًا لَهُـمْ بَعْـدَهَا بَهْـرَا

يقول السيرافي في شرح هذا البيت: "تفاقد قومي: أي فقد بعضهم بعضًا؛ إذ يبيعون مهجتي بجارية، دعا عليهم؛ لأنهم منعوه من هذه الجارية، وجعل منعهم إياها بمنزلة تعريضه للموت والتسليم له كما يتسلم المبيع. بعدها: أي بعد هذه الفعلة[٥]".

(١) البيت من البسيط، وهو لذي الإصبع العدواني في: ديوانه ٩١، والأمالي لأبي علي القالي ٢٥٦/١، وحماسة الخالديين ٨٢/٢، والمقاصد النحوية ١٢٣٠/٣

(٢) البيت من الكامل، وهو لأبي الأسود الدؤلي في: ديوانه (الشعر المشكوك نسبته) ٤٠٣، وبلا نسبة في: وعيون الأخبار ١٣/٢، ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٣١٥/١.

(٣) البيت من البسيط، وهو للفرزدق في: ديوانه ١٦٧، والكتاب ٦٠/١، والمقتضب ١٩١/٤، وشرح كتاب سيبويه ٣٢٩/١، والمخصص ١٠٧/٥، والمقاصد النحوية ٦٣٩/٢، وخزانة الأدب ١٣٧/٤.

(٤) البيت من الطويل، وهو لابن ميادة في الكتاب ٣١١/١، والكامل في اللغة والأدب ١٨٢/٢، وشرح كتاب سيبويه للسيرافي ٢٠٤/٢، والمقاصد النحوية ٤٩٣/١.

(٥) شرح أبيات سيبويه للسيرافي ١٧٩/١

وقد كثر هذا النمط في شعر جرير، ومن ذلك الشواهد الآتية :

١- نَهْوَى تَرَى الْعِرْقِ **إِذْ لَمْ نَلْـقَ بَعْدَكُمُ** **كَالْعِرْقِ عِرْقًا وَلَا السُّلَانِ سُلَّانَـا**(١)

٢- نَامُوا فَقَدْ بَـــاتَ خِزيٌ فِي قَلـــيبِـكُمُ **إِذْ لَمْ تَرَوْا مِنْ أَخِيكمْ غَيرَ أَجْلَادِ**(٢)

٣- هلَّا غضبتَ عَلَـى قُرُومِ مُقَـــاعسٍ **إذ عجَّلوا لكُمُ الهوانَ فأسرَعُـــوا**

نُبِّئتُ جِـــعْثِـنَ دَافَـــعَتْهُمْ بِاسْتِهَـــا **إِذْ لَمْ تجِدْ لمجَاشـــعٍ مَن يَدفَـعُ**(٣)

٤- ولما رأيتُ النَّـــاسَ هرَّتْ كِلَابُهُم تَشَيَّعْتُ **إِذْ لَمْ يَحْمِ إِلَّا المُشَـــايِعُ**(٤)

النمط الثالث: أن تقع الجملة المصدرة بـ(إذ) التعليلية تعليلًا لما بعدها (تعليل سابق).

تأتي الصورة التركيبية لهذا النمط على النحو التالي: [(وإذ) + علة الحدث الواقعة الثابتة يقينًا + الحدث المعلول له الواقع في المستقبل]، والمعنى: لهذه العلة الخاصة يقينية الحدوث سيحدث كذا وكذا؛ اهتمامًا بإظهار العلة وقصدًا للتخصيص والتوكيد. وتمثل الآيات الكريمة الآتية مواضع (إذ) التعليلية التي يتقدم به علة الحدث قبل إيراده في القرآن الكريم، وهي قوله –تعالى–:

١- ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦﴾ [الكهف : ١٦]

٢- ﴿لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٣﴾ [النُّور : ١٣]

٣- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ١١﴾ [الأحقاف : ١١]

٤- ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٣﴾ [المُجادلَة : ١٣]

---

(١) البيت من البسيط، وهو لجرير في ديوانه ١٦٣/١، ومقاييس اللغة ٢٨٩/٤.

(٢) البيت من البسيط ، وهو لجرير في ديوانه ٤٣٣/١.

(٣) البيت من الكامل، وهو لجرير في ديوانه ٩١٨/٢ ، وشرح نقائض جرير والفرزدق ١٠٥٩/٣، ومنتهى الطلب من أشعار العرب ١٩٥.

(٤) البيت من الطويل، وهو لجرير في ديوانه ٩٢١/٢، وشرح نقائض جرير والفرزدق ٣/ ٨١٥، ومنتهى الطلب من أشعار العرب ص١٧١

والتقدير في الآية الأولى: ولأنكم اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف. والمعنى: لهذه العلة افعلوا كذا. والتقدير في الآية الثانية: ولأنهم لم يأتوا بالشهداء فقد حكم الله عليهم بالكذب، والمعنى: لهذه العلة حكم الله عليهم بكذا. والتقدير في الآية الثالثة: ولأنهم لم يهتدوا به فسيقولون... والمعنى : لهذه العلة سيقولون كذا. والتقدير في الآية الرابعة: ولأن الله تاب عليكم مع امتناعكم من امتثال أمره فأقيموا الصلاة.

ويرى بعض النحاة أن إذ في هذه المواضع تحمل معنى الشرط ضمنًا، وأن هذه المواضع" في قوة شرط وجزاء[١]" و"شبهت (إذ) بـ(إن)؛ فدخلت الفاء بعدها كما تدخل في جواب الشرط[٢]"، وذهب الرضي أيضًا إلى أن "ذلك في (إذ) مطرد[٣]"، وللرضي رأي آخر في هذه المواضع، وهو أن تكون " من باب ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ [المُدَّثِّر : ٥]؛ أي: مما أضمر فيه (أما)، وإنما جاز إعمال المستقبل الذي هو (فسيقولون) و(فأووا) و(فأقيموا) في الظروف الماضية التي هي (وإذ لم تهتدوا)، (وإذ اعتزلتموهم)، (فإذ لم تفعلوا) وإن كان وقوع المستقبل في الزمن الماضي محالا، لما ذكرناه في نحو: أمَّا زيد فمنطلق من الغرض المعنوي، أي: قصد الملازمة، حتى كأن هذه الأفعال المستقبلة وقعت في الأزمنة الماضية، وصارت لازمة لها كل ذلك لقصد المبالغة[٤]"، واعترض السهيلي على هذا التأويل بأنه" فإن جوز وقوع المستقبل في الظرف الماضي على أصله الفاسد، فكيف يعمل ما بعد الفاء فيما قبلها، لا سيما مع السين، وهو قبيح أن تقول: غدًا سآتيك، فإن قلت: غدًا فسآتيك، فكيف إن زدت على هذا وقلت: أمس فسآتيك، و(إذ) على أصله بمنزلة أمس، فهذه فضائح لا غطاء لها ... [٥]".

لقد ذهب النحاة في تفسير وقوع الفاء في هذه المواضع إلى أن (إذ) هنا جارية مجرى الشرط، أو أن (أمَّا) محذوفة، وأرى أنه لا يوجد في هذه المواضع معنًى للشرط، وأرى أن في هذا التكلف تضييقًا على استعمال الأساليب العربية الفصيحة، فلم لا يكون هذا الأسلوب أسلوبًا خاصًّا بهذا المعنى التركيبي الذي يحرص على تقديم العلة مما يكون أحرى للاستجابة بالأمر اللاحق؟!، أو لم لا يكون أسلوبًا خاصًّا يحدث ربطًا للحدث بعلته الحقيقية التي ينتفي بعدها أي علة أخرى أن تكون هي السبب

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٨/ ٣٩٠، وينظر: التبيان في إعراب القرآن ١٢١٤/٢

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٢٧٦/٣

(٣) شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ١٤٢٩/٢

(٤) المرجع السابق ١٤٢٩/٢-١٤٣٠

(٥) الروض الأُنُف ١٠٩/٤

في الحدث؟!، وهذا التكلف في تأويل النحاة وتقديرهم يدلنا على تحكم منطق العقل وقواعد النحو في منطق اللغة؛ مما أدى إلى جمود التفكير النحوي في وصف اللغة العربية المرنة الغنية بأساليبها التعبيريَّة.

ومن مواضع هذا النمط في كلام صحابة رسول الله ﷺ ما يلي:

١- "أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا، فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلَا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ...[١]".

٢- "أَمَّا إِذْ غَلَبْتَنِي، فَوَالله لَأَشْتَرِيَنَّ أَجْوَدَ بَعِيرٍ بِمَكَّةَ...[٢]".

٣- "أَمَّا إِذْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا...[٣]".

ومن مواضع هذا النمط في الشعر العربي القديم قول قيس بن الخطيم[٤]:

فَإِذْ لَمْ يَكُنْ عَن غَايَةِ المَوتِ مَدفَعٌ فَأَهْلًا بِهَا إِذ لَم تَزَل فِي المَرَاحِبِ

ومن هذا النمط أيضًا قول زهير بن أبي سُلمى[٥]:

فَأَمَّـــا إِذْ نَأَيـــتِ فَـــلَا تقُـــولِي لِـــذِي صِـــهْرٍ أُذِلْـــتُ وَلَـــمْ تُـــذَالِي

وبناءً على الدلالة المفهومة من النماذج السابقة تكون (إذ) حرفًا دالًّا على التعليل، لا ظرفًا؛ إذ إنه يخلو من أي معنى للزمن، وتتميز الخصائص التركيبية لهذا الحرف التعليلي في أنه يقع في صدر

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: صفة الصلاة، باب: وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، في الحضر والسفر، وما يُجهَر فيها وما يُخافَت. (٢٦٢/١)، (رقم: ٧٢٢)، من حديث أسامة بن قتادةﷺ .

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: المغازي، باب: ذكر النبي ﷺ من يُقتل ببدر (١٤٥٤/٤)، (رقم: ٣٧٣٤)، من حديث سعد بن معاذ ﷺ، والنص لأبي صفوان.

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: المغازي، باب: قدوم الأشعريين وأهل اليمن (١٥٩٤/٤)، (رقم: ٤١٢٥)، من حديث عمران بن حصين ﷺ ، والنص لوفد من بني تميم.

(٤) البيت من الطويل، وهو لقيس بن الخطيم في ديوانه (ص٨١)، وجمهرة أشعار العرب ٥٠٨، وحماسة البحتري٩٩، ومنتهى الطلب من أشعار العرب٢٨١ .

(٥) البيت من الوافر، وهو لزهير بن أبي سلمى، في : ديوانه ٩٥، وشرح المعلقات السبع ص١٢٤، وشرح شواهد المغني ٢/ ٨٢١

الجملة المعلِّلة للحكم الثابت في الجملة التي تسبقها أو الحكم الثابت في الجملة التي تليها كاشفة عن علة الإسناد الواقع فيها، أو معترضة بين عناصر الجملة المعلَّلة.

ويترتب على ذلك عدم الاضطرار القسري في البحث عن عامل النصب في (إذ)، بصورة تفقد النص ترابطه ومعناه الحقيقي، وإنما سيكون لـ(إذ) متعلق دلالي واضح يرتبط به موضحًا علته، وهو الإسناد الواقع في الجملة السابقة عليها أو الجملة التالية لها، وشأن (إذ) في هذا التعلق شأن شبه الجملة في اللغة العربية.

المطلب الخامس: (إذ) التفصيليَّة

تجيء (إذ) في بعض استعمالاتها دالة على التفصيل، وهي في هذا الاستعمال تُسبق بإجمال، ويليها تفصيل هذا الإجمال، ويكثر هذا الاستعمال قرآنيًّا في مواضع الامتنان وبيان النعمة والفضل، فهذا هو الإجمال، ويأتي تفصيله بعد إذ، ويمكن تصنيف الأنماط التركيبية الفرعية لهذا الدلالية في الأنماط التالية:

النمط الأول: (اذكروا+ نعمة الله/ نعمتي+ إذ+ تفصيل النعم).

يتكون هذا النمط تركيبيًّا من فعل أمر دال على التذكير (اذكر) مسندًا إلى واو الجماعة (اذكروا) أو ضمير المخاطب المستتر (أنت)، ثم يذكر مفعوله (نعمة الله/نعمتي)، يليه إذ متبوعة بتفصيل النعم، وقد وردت إذ التفصيلية بهذا النمط التركيبي في (٩) مواضع من القرآن الكريم، وذلك في الآيات الكريمة الآتية:

١- ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧ ... وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ﴾ [البَقَرَة: ٤٧ : ٤٩]

٢- ﴿ ... وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ ...﴾ [آل عِمۡرَان : ١٠٣]

٣- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١﴾ [المَائِـدَة : ١١]

٤- ﴿ ... ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٠﴾ [المَائِدَة : ٢٠]

٥- ﴿ ... ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١١٠ ﴾ [المَائِدَة : ١١٠]

٦- ﴿ ... ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ٦﴾ [إِبْرَاهِيم : ٦]

٧- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩﴾ [الأَحْزَاب : ٩]

النمط الثاني: (واذكروا + مفعول به محذوف + إذ + تفصيل النعم).

يتكون هذا النمط تركيبيًّا من فعل الأمر الدال على التذكير (اذكروا) من دون ذكر المفعول به، وإذ متبوعة بتفصيل النعم، وهو بذلك الصور التركيبية محول عن النمط الأول بقاعدة الحذف، وقد وردت إذ التفصيلية بهذا النمط التركيبي في أربعة مواضع من القرآن الكريم، وذلك في الآيات الكريمة الآتية:

١- ﴿... وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٦٩﴾ [الأَعْرَاف : ٦٩]

٢- ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٧٤﴾ [الأَعْرَاف : ٧٤]

٣- ﴿ ... وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٨٦﴾ [الأَعْرَاف : ٨٦]

٤- ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦﴾ [الأَنفَال : ٢٦]

النمط الثالث: (منَّ ... + إذ + تفصيل الامتنان).

يتكون هذا النمط تركيبيًّا من فعل الماضي الدال على الامتنان (منَّ) مسندًا إلى فاعله وهو الله – عز وجل– أو ضمير المتكلمين (نا) العائد إلى الله –عز وجل– دالا على التعظيم، ثم تأتي إذ متبوعة

بتفصيل النعم، وقد وردت إذ التفصيلية بهذا النمط التركيبي في موضعين من القرآن الكريم، وذلك في الآيات الكريمة الآتية:

١- ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عِمْرَان : ١٦٤]

٢- ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾﴾ [طه: ٣٧- ٣٨]

النمط الرابع: (جملة تحمل معنى الامتنان+ إذ+ تفصيل النعم).

يتكون هذا النمط تركيبيًّا من جملة تحمل معنى الامتنان من الله –عز وجل–، والمسند إليه في هذه الجملة هو الله – عز وجل–، فيكون في الجملة الاسمية مبتدأ مسندًا إليه خبر بمعنى التفضل والامتنان، ويكون في الجملة الفعلية فاعلًا مسندًا إليه فعل بمعنى الامتنان، كـ(صدق وعده، ونصر، وأحسن، وألقى المحبة)، ثم تأتي إذ متبوعة بتفصيل النعم، وقد وردت إذ التفصيلية بهذا النمط التركيبي في خمسة مواضع من القرآن الكريم، وذلك في الآيات الكريمة الآتية:

١- ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [آل عِمْرَان : ١٢٣ - ١٢٤]

٢- ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ ... ﴾ [آل عِمْرَان : ١٥٢]

٣-﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ * إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ [آل عِمْرَان : ١٥٢ - ١٥٣]

٤- ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التَّوْبَة : ٤٠]

٥- ﴿ ... وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يُوسُف : ١٠٠]

٦- ﴿... وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [طه: ٣٩ - ٤٠]

ففي قول الله – تعالى–: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التَّوْبَة : ٤٠] تدل (إذ) وما بعدها في هذه الآية الكريمة على تفصيل الأحداث التي أيد الله – عزَّ وجلَّ– فيها الرسول الكريم ﷺ بنصره؛ فقد استمر نصر الله لنبيه محمد –ﷺ– في جميع مراحل الهجرة، فنصره الله –تعالى– وقت خروجه من بيته في مكة إذ حفظه من المتربصين به أمام بيته وجعل من أيديهم سدا ومن خلفهم سدا وأغشى أبصارهم، واستمر النصر والتأييد في غار ثور إذ حفظه من وصول أيدي الكفار إليه، ونصره وأيده كذلك حين اشتد خوف الصديق أبي بكر –رضي الله عنه– على النبي ﷺ، فطمأن النبي قلب صاحبه بقوله : (لا تحزن؛ إن الله معنا)، وكل هذا تفصيل لقوله –تعالى–: (فقد نصره الله)، وأدت تكرار (إذ) وظيفة الترابط والتماسك بين تراكيب الآية الكريمة.

المطلب السادس: (إذ) التفسيريَّة

تأتي (إذ) في بعض سياقاتها تفسيرية، وتكون حينئذ مسبوقة بما يحتاج إلى التفسير، وقد يكون المفسَّر: جملة فعلية، أو مصدرًا، أو مشتقًا، أو موصولًا وصلته.

أ- (إذ) المفسرة لجملة فعلية:

وردت إذ المفسرة لجملة فعلية في ستة مواضع من القرآن الكريم، وهي قوله –تعالى–:

١- ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [آل عِمْرَان : ٣٣ - ٣٥]

٢- ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عِمْرَان : ٥٤ - ٥٥]

٣- ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ [النِّسَاء : ١٠٨]

٤- ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧﴾ [المَائِدَة : ٧]

٥- ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١﴾ [الأَنْعَام : ٩١]

٦- ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٤ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ١٥﴾ [النُّور : ١٤ - ١٥]

فقد فسرت الجملة المصدرة بـ(إذ) في الآية الأولى الجملة الفعلية : (اصطفى .. وآل عمران ذرية بعضها من بعض)، وفي الآية الثانية فسرت الجملة المصدرة بـ(إذ) الجملة الفعلية (ومكر الله)، وفي الآية الثالثة فسرت الجملة المصدرة بـ(إذ) الجملة الفعلية (لا يستخفون من الله) وفي الآية الرابعة فسرت الجملة المصدرة بـ(إذ) الجملة الفعلية (واثقكم به)، وفي الآية الخامسة فسرت الجملة المصدرة بـ(إذ) الجملة الفعلية (وما قدروا الله حق قدره). وفي الآية السادسة فسرت الجملة المصدرة بـ(إذ) الجملة الفعلية جملة صلة الموصول (أفضتم فيه).

ومن هذا النمط في الشعر العربي قول حسان بن ثابت[1]:

وَلَقَد نِلتُم وَنِلنَا مِنْكُمُ ... وَكَذَاكَ الحَرْبُ أَحْيَانًا دُوَلْ

إِذْ شَدَدْنَا شَدَّةً صَادِقَةً ... فَأَجَأْنَاكُمُ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلْ

إِذْ تُوَلُّونَ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ... هَرَبًا فِي الشِّعْبِ أَشْبَاهَ الرَّسَلْ

فقد فُسرت الجملة الفعلية (نلنا منكم) في البيت الأول، بالأبيات التالية المصدرة بـ(إذ) مرتين.

(١) الأبيات من الرمل، وهي لحسان بن ثابت في ديوانه ١٨١، ومنتهى الطلب في أشعار الطلب ٢٧٦، وشرح شواهد المغني ٥٥٠/٢.

ب- (إذ) المفسرة لمصدر:

قد تأتي إذ تفسيرًا لمصدر، والمصدر يعمل عمل فعله، وقد يأتي منونًا أو مضافًا أو معرفًا بأل، وقد جاءت إذ مفسرة للمصدر المضاف في موضعين، ومفسرة للمصدر المنون في موضع واحد، وهذه المواضع هي قوله – تعالى-:

١- ﴿* وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنبياء : ٥١ - ٥٢]

٢- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۚ﴾ [سبإ : ٣٣]

٣- ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ [المُمْتَحنَة : ٤]، ففي هذه الآيات الكريمة فسر الله –عز وجل– المصادر: الرشد، والمكر، والأسوة الحسنة، بما جاء بعدها مُصدَّرًا بـ(إذ)، ومن ثم فإنني أعد (إذ) في هذه المواضع حرف تفسير.

ج- (إذ) المفسرة لجملة اسمية:

قد تأتي إذ تفسيرًا **لجملة اسمية** ، وقد جاء ذلك في قوله –تعالى-: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ [ص : ٣٠ - ٣٣] ، فقد فسرت الجملة المصدرة بـ(إذ) الجملة الاسمية (إنه أواب). ومن مواضع هذا النمط لـ(إذ التفسيرية) في حديث النبي ﷺ : "لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، **إِذْ** عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ اللهُ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ[(١)]". فقد فسرت الجملة المصدرة بـ(إذ) الجملة الاسمية: (وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة).

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم: آمين، والملائكة في السماء، فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه (٣/١١٨٠)، (رقم: ٣٠٥٩)، من حديث أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها–.

المطلب السابع: (إذ) الدالة على الاستقبال

ترد (إذ) في بعض سياقاتها القرآنية دالةً على الاستقبال، ومن تلك السياقات اللغوية الداخلية تركيب (ولو ترى ... إذ) و(لو يرى...إذ) و(فسوف يعلمون إذ)، كذلك تدل على الاستقبال إذا تركبت مع ما ، فإنها حينئذ تدل على معنى الشرط (إذما)، فتكون بمعنى (إن) أو (إذا)، وتدل على الاستقبال أيضًا حين يقصد بها إظهار العادة فتكون بمعنى (كلما)، وكذلك إذا تعلقت دلاليا بكلمة أو تركيب قبلها يدل على وقوعها في المستقبل، ويمكن تفصيل هذه الأنماط التركيبية على النحو التالي:

النمط الأول: تأتي إذ دالة على الاستقبال إذا سبقت بما يدل على الاستقبال، ومن ذلك النمط التركيبي (ولو ترى إذ) و(لو يرى ... إذ)، ويتكون هذا التركيب من لو الشرطية المتبوعة بالفعل المضارع الدال على الاستقبال، يليها إذ، متبوعة بحدث مستقبل، وهذا النمط التركيبي يدل على يقين وقوع الأمر في المستقبل، وكأنه وقع فعلًا تحقيقًا وتأكيدًا، ويُستفاد هذا اليقين والتحقيق من وقوع المضارع بين أداتين يستعملان للدلالة على المضي، وهما: (لو) و(إذ)؛ وبهذا التركيب خرجت الكلمات المكونة له من معناها الأصلي؛ إذ يحدث للحروف بالتركيب ما يخرجها عن معناها الأصلي، وأكثر ما يستعمل هذا التركيب في مواضع التخويف من عذاب الله، فيجعله الله كالمعاين المشاهد، ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم:

١- ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ [الأَنْعَام : ٢٧]

٢- ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ﴾ [الأَنْعَام : ٣٠]

٣- ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الأَنْعَام : ٩٣]

٤- ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ [الأَنْفَال : ٥٠]

٥- ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [السَّجْدَة : ١٢]

٦- ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ﴾ [سَبَإ : ٣١]

٧- ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ٥١﴾ [سَبَإ : ٥١]

ويدل التركيب الواقع في بداية الآيات السابقة (لو يرى إذ) بكل عناصره على أحداث تقع في المستقبل متيقن وقوعها، فوُضع المضارع (يرى) الدال على المستقبل موضع الماضي بعد (لو)، وكذلك وقعت (إذ) هنا بمعنى المستقبل؛ "لأن خبر الله –تعالى– صدق؛ فما لم يقع بخبره في حكم ما وقع[١]"، فهذا التركيب يستعمل في القرآن الكريم لتقرير وإثبات أن أمر معين سيحدث مستقبلًا بصورة يقينية وكأنه حدث فعلًا، فخبر الله عن المستقبل في حكم الخبر الماضي الثابت حدوثه.

وقد ورد هذا النمط بصيغة الغيبة لا الخطاب (ولو يرى الذين ظلموا إذ...) في قوله –تعالى–: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البَقَرَة : ١٦٥] ومن هذا النمط التركيبي أيضًا تركيب (فسوف يعلمون ... إذ) في قوله –تعالى–: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾﴾ [غَافِر :﴿٧٠﴾- ٧١] .

كذلك تدل إذ على الاستقبال إذا سُبقت بـ(ليت) فهي تدل على تمني وقوع أمر في المستقبل، فعل مضارع كما في حديث ورقة بن نوفل، ويقول فيه:"يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ الله –ﷺ–: (أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟). قَالَ: نَعَمْ[٢]".

النمط الثاني: أن تركب مع (ما) فتفيد معنى الشرط (إذما).

لا تدل (إذ) على الشرط إلا إذا تلتها (ما)[٣]؛ ويعلل النحاة ذلك بأنه لما زيد عليها (ما) منعت الإضافة الموضحة الكاشفة عن معناها؛ فصارت مبهمة مثل (متى)، فعملت الجزم مثلها في فعلي

(١) التبيان في إعراب القرآن ١٣٦/١، ويصرح الأزهري بدلالة الاستقبال في الآية الأخيرة، فقد وضع الماضي (فزعوا) محل المضارعه الدال على الاستقبال، فيقول: "معناه: ولو ترى إذ يفزعون يوم القيامة". تهذيب اللغة ٣٧/١٥

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ (٥/١)، (رقم: ٣)، من حديث أم المؤمنين عائشة– رضي الله عنها–.

(٣) الكتاب لسيبويه ٥٦/٣

الشرط والجزاء[١]، ويتحول حكم (إذما) من الاسمية إلى الحرفية؛ لأنها "تقع موقع "إن"، ولم يقم دليلٌ على اسميتها [٢]".

ومن شواهد إذما الشرطية قول العباس بن مرداس[٣]:

إِذْمَا أَتَيْتَ عَلَى الرَّسُولِ فَقُلْ لَهُ حَقًّا عَلَيكَ إِذَا اطمَأَنَّ المَجْلِسُ

وقول عبد الله بن همام السلولي[٤]:

إِذْمَا تَرَينِي اليَوْمَ أُزْجِي ظَعِينَتي أُصَعِّدُ سَيْرًا فِي البِلَادِ وأُقْرِعُ

فإِنِّيَ مِنْ قَوْمٍ سِواكُمْ وَإِنَّمَا رِجَالِيَ فَهْمٌ بالحِجَازِ وَأَشْجَعُ

النمط الثالث: إذ المقصود بها إظهار العادة فتكون بمعنى (كلَّما).

تأتي (إذ) دالة على الاستقبال أيضًا إذا قُصد منها بيان التعود على فعل ما والاستمرار في صنعه، فتكون بمعنى (كلما)، ومما يمكن الاستشهاد به من كلام العرب قول لبيد بن ربيعة[٥]:

وَلَقَد حَمَيْتُ الْحَيَّ تَحمِلُ شِكَّتي فُرُطٌ وَشاحِيَ إِذ غَدَوتُ لِجامُهَا

---

(١) ينظر: المقتضب ٤٧/٢، واللباب في علل البناء والإعراب ٥٥/٢ ، وشرح المفصل ١٢٥/٣، ١٠٥/٥، والجنى الداني في حروف المعاني ١٩٠

(٢) شرح المفصل ١٠٥/٥، و شرح التسهيل لابن مالك ٦٧/٤، يقول المرادي:" واختلف النحويون فيها، فذهب سيبويه إلى أنها حرف شرط كإن الشرطية. وذهب المبرد، وابن السراج، وأبو علي، ومن وافقهم، إلى أنها باقية على اسميتها، وأن مدلوها من الزمان صار مستقبلًا، بعد أن كان ماضيًا. قال ابن مالك: والصحيح ما ذهب إليه سيبويه؛ لأنها قبل التركيب حكم باسميتها؛ لدلالتها على وقت ماض، دون شيء آخر يدعى أنها دالة عليه، ولمساواتها الأسماء، في قبول بعض علامات الاسمية، كالتنوين، والإضافة إليها، والوقوع موقع مفعول فيه، ومفعول به. وأما بعد التركيب فمدلولها، المجتمع عليه، المجازاة، وهو من معاني الحروف. ومن ادَّعى أن لها مدلولاً آخر، زائدًا على ذلك، فلا حجة له. وهي مع ذلك غير قابلة لشيء من العلامات، التي كانت قابلة لها قبل التركيب، فوجب انتفاء اسميتها، وثبوت حرفيتها". الجنى الداني في حروف المعاني ١٩١

(٣) البيت من الكامل، وهو للعباس بن مرداس في : ديوانه ٨٨ وروايته في الديوان (إمَّا أتيت)، ورواية (إذما) في الكتاب لسيبويه ٥٧/٣، وشرح أبيات سيبويه ١٠٢/٢، وشرح المفصل ١٢٢/٣، وخزانة الأدب ٢٩/٩

(٤) البيت من الطويل، وهو لعبد الله بن همام السلولي في: ديوانه ٧٥، وخزانة الأدب ٢٩/٩

(٥) البيت من الكامل، وهو للبيد بن ربيعة في ديوانه ١١٤، وجمهرة أشعار العرب ٢٦٢، وشرح المعلقات التسع ٢٩٤، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٥٧٩، وشرح المعلقات السبع ١٩٤، وشرح القصائد العشر ١٦٤.

يقول الإمام الزوزني في شرح هذا البيت:" وتحرير المعنى: ولقد حميت قبيلتي وأنا على فرس أتوشح بلجامها إذا نزلت لأكون متهيئًا لركوبها[١]"، فالشاعر معتاد تلك العادة، كلما نزل من صهوة جواده توشح بلجامها ليكون قريبا منها جاهزًا لامتطائها لرد أي عدوان على قبيلته، ومع ذلك فإن معربي هذا البيت يرون أن (إذ) ظرف لما مضى من الزمان.

كما يمكن الاستشهاد على مجيء (إذ) دالة على معنى (إذا) بقول عنترة بن شداد[٢]:

هَـلَّا سَـأَلْتِ الْخَيْـلَ يَابْنَـةَ مَالِـكٍ إِنْ كُنْـتِ جَاهِلَـةً بِمَـا لَـمْ تَعْلَمِـي

إِذْ لَا أَزَالُ عَلَـى رِحَالَـةِ سَـابِحٍ نَهْـدٍ تَعَـاوَرُهُ الكُمَـــاةُ مُكَـــلَّمِ

وقد أشار شراح هذه القصيدة إلى هذا المعنى في هذا البيت، يقول الإمام الزوزني:" يقول: هلا سألت الفرسان عن حالي إذا لم أزل على سرج فرس سابح تناوب الأبطال في جرحه[٣]"، وكذلك قول الحارث بن حلزة[٤]:

أَتَلَهَّـى بِهَـا الْهَوَاجِـــرَ إِذْ كُـلُّ ابـــنِ هَـمٍّ بَلِـــيَّةٌ عَمْيَـــاءُ

ويشير تفسير شراح هذه القصيدة إلى هذا المعنى في هذا البيت أيضًا، يقول الإمام الزوزني:" يقول: أتلعب بها في أشد ما يكون من الحر إذا تحيَّر صاحب كل هم تحير الناقة البلية العمياء. يقول: أركبها وأقتحم بها لفح الهواجر إذا تحيَّر غيري في أمره، يريد أنه لا يعوقه الحر عن مرامه[٥]".

ويتضح من السياق أن غرض الشاعر في النموذجين السابقين هو الفخر بنفسه والاعتداد بشجاعته وعلو همته، وإذا كان المقام فخرًا فإن الأولى في الفخر أن يكون بصفة دائمة ثابتة راسخة تحدث مع كل موقف يقتضيها وداع يستدعيها، فهو يفخر في البيت الأول بأنه دائمًا يمتطي صهوة جواده في الحرب يضرب ويطعن، وكذلك في البيت الأخير يفتخر بصفة دائمة لاتنقطع؛ وهي أنه لا

(١) شرح المعلقات السبع ١٩٥

(٢) البيت من الكامل، وهو من معلقة عنترة ابن شداد، وهو في ديوانه ١٧، وجمهرة أشعار العرب ٣٦٤، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٣٤٣، وشرح المعلقات السبع ٢٥٧، وشرح القصائد العشر ٢٠٠.

(٣) شرح المعلقات السبع ٢٥٧

(٤) البيت من الخفيف، وهو من معلقة الحارث بن حلزة، وهو في ديوانه ٦٧، وشرح المعلقات التسع ٣٥٥، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٤٤٥، وشرح المعلقات السبع ٢٧٢، وشرح القصائد العشر ٢٥٦.

(٥) شرح المعلقات السبع ٢٧٢

يعوقه عائق عن الوصول لما يطمح إليه من العلا؛ ومن هنا تصبح دلالة إذ على الاستقبال متوافقة مع الغرض الدلالي للشاعر.

كذلك يمكن الاستشهاد على مجيء (إذ) دالة على معنى الاستقبال بقول الشاعر[١]:

فَبِتلكَ إِذْ رَقَصَ اللَوامِعُ بِالضُّحى وَاجْتَابَ أَردِيَةَ السَّرَابِ إِكَامُهَا
أَقْضِي اللُّبانَةَ لَا أُفَرِّطُ رِيبَةً أَو أَن يَلومَ بِحَاجَةٍ لُوَّامُهَا

فالمعنى الذي يرمي إليه الشاعر أنه يقضي وطره وحوائجه بركوب هذه الناقة القوية التي اعتادت السير في حر الهواجر المحتدم حين ترقص لوامع السراب بالضحى وتلبس الإكام أردية من هذا السراب، فهو لا يقصر ولا يفرط في طلب بغيته، ولا يدع ريبة إلا أن يلومه لائم[٢].

النمط الرابع: أن تتعلق بكلمة أو تركيب قبلها أو بعدها تدل على المستقبل

يرى ابن مالك أن (إذ) تدل على الاستقبال **إذا أُبدِلت من كلمة دالة على الاستقبال**، ومثل لذلك بقوله –تعالى–: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى﴾ [المَائِـدَة : ١٠٩ - ١١٠]، يقول:" فإذ هذه بدل من (يَـوْمَ يَجْمَـعُ)، و(يَـوْمَ يَجْمَـعُ) مستقبل المعنى فيتعين كون المبدل منه مثله في الاستقبال، ومثله قوله –تعالى–: ﴿فَسَـوْفَ يَعْلَمُـونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ [غَافِر : ٧٠ - ٧١][٣]" .

ومما ورد من هذا النمط في الشعر العربي القديم قول أبي النجم العجلي[٤]:

ثُمَّ جَزَاهُ اللهُ عَنَّـــا إِذْ جَزَى
جَنَّاتِ عَدْنٍ والعَلالِيَّ العُلَا

(١) البيت من الكامل، وهو من معلقة لبيد بن ربيعة في ديوانه ١١٣، وجمهرة أشعار العرب ٢٥٩، وشرح المعلقات التسع ٢٩٠، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٥٧١، وشرح المعلقات السبع ١٩١، وشرح القصائد العشر ١٥٩.
(٢) ينظر: شرح المعلقات السبع ١٩٢
(٣) شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ٢١٢
(٤) البيتان من مشطور الرجز، وهو لأبى النجم العجلي في: ديوانه ٤٦٣

فقد تعلقت (إذ) في هذا البيت بجملة (جزاه الله)، والجزاء يكون يوم القيامة، يقول الأزهري: " أراد: إذا جزى[١]". ويقصد أن الشاعر وضع إذ مكان إذا التي للمستقبل؛ وذلك لتحقق الوقوع.

وقد تفهم دلالة الاستقبال ممَّا بعد (إذ)، ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ۝٣٢ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ۝٣٤ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ۝٣٥ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ۝٣٦﴾ [المُدَّثِّر : ٣٢ - ٣٦]، فقد قرئ (والليل إذا أدبر)[٢]؛ مما يدل على أنها للاستقبال، فهذه صفة متكررة في الليل، أنه يقبل ويدبر، وهو أمر عظيم أقسم الله به –عز وجل–، كما أقسم بالصبح إذا أسفر، ووضح نوره.

المطلب الثامن: (إذ) المصدريَّة

تأتي (إذ) في بعض استعمالاتها حرفًا مصدريًّا، وعلامتها أنه يصح تأويلها مع ما بعدها بالمصدر الصريح، وهي في ذلك تشبه (أن) المصدريَّة، ويؤكد الشبه الدلالي الواقع بينهما وقوع الاستبدال بينهما في بعض القراءات القرآنية؛ ففي قوله –تعالى– : ﴿قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحُجُرَات : ١٧] قرئ: (إذ هداكم) [٣]، وكلاهما يؤول بالمصدر الصريح، والتقدير: بل الله يمن عليكم بهدايته إياكم للإيمان.

وقد وردت (إذ) المصدرية في الاستعمال القرآني بعد الظرف (بعد)، وذلك في ثمانية مواضع، وهي قوله – تعالى–:

١– ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عِمْرَان : ٨]

٢– ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝٨٠﴾ [آل عِمْرَان : ٨٠]

٣– ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأَنْعَام : ٧١]

---

(١) تهذيب اللغة ٣٩/١٥، وينظر: تفسير الطبري ٣١٧/١١

(٢) نسبت هذه القراءة لعبد الله والحسن في: معاني القرآن للفراء٢٠٤/٣ والحجة للقراء السبعة ٣٣٩/٦ ، ونُسبت لمحمد بن السميفع، وعبد الله، وأبي. اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٥٢٧ ، وورد في الموسوعة القرآنية أنها" قراءة الحسن ، وأبى رزين، وأبى رجاء، وابن يعمر، والسلمى، وطلحة، والأعمش، ويونس بن عبيد، ومطر، وهى فى مصحف عبد الله، وأبي". الموسوعة القرآنية ٣٥٣/٦

(٣) وهي قراءة عبد الله بن مسعود، ينظر: معاني القرآن للفراء٧٤/٣، والكشف والبيان عن تفسير القرآن ٤١٣/٢٤ ، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن ٣٥١/٧، وتفسير الكشاف ٣٧٩/٤، ونسبها أبو حيان لابن مسعود وزيد بن علي. ينظر: البحر المحيط في التفسير ٥٢٥/٩

٤- ﴿قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَا﴾ [الأَعْرَاف : ٨٩]

٥- ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التَّوْبَة : ١١٥]

٦- ﴿لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩﴾ [الفُرْقَان : ٢٩]

٧- ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَ﴾ [القَصَص : ٨٧]

٨- ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُم﴾ [سَبَإ : ٣٢]

ويلاحظ أن المصدر المؤول في جميع هذه الآيات يدور حول معاني الإسلام والهداية ومجيء الآيات وإنزالها من رب العباد إلى رسوله ونبيه محمد ﷺ، وهي معان ثابتة راسخة لا تقبل التشكيك أو الإنكار؛ وهو ما يضفي على استعمال إذ المصدرية غاية دلالية متفردة، وهي إفادة الثبوت والتحقيق والتوكيد، وهذا يدل على دقة النظم القرآني وإعجازه البياني.

ومن مواضع هذا النمط في كلام رسول الله ﷺ قوله ﷺ : "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ... وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ، بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ الله، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ[(١)]".

ومن مواضع هذا النمط في كلام صحابة رسول الله ﷺ:

١- "فَلَا أَدَعُ الْحَجَّ بَعْدَ إِذْ سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ [(٢)]".

٢- "وَالله مَا أَنْعَمَ الله عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ، بَعْدَ إِذْ هَدَانِي، أَعْظَمَ مِنْ صِدْقِي رَسُولَ الله ﷺ [(٣)]".

ومن هذا النمط في الشعر العربي القديم قول لبيد بن ربيعة[(٤)]:

وَمَا المَرْءُ إِلَّا كالشِّهَابِ وَضَوْئِهِ يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان، (١٦/١)، (رقم: ٢١)، من حديث أنس ﷺ

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أبواب الإحصار وجزاء الصيد، باب: حج النساء، (٦٥٨/٢)، (رقم: ١٧٦٢)، من حديث أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها–.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٥﴾ [التَّوْبَة : ٩٥] (١٧١٧/٤)، (رقم: ٤٣٩٦)، من حديث كعب بن مالك ﷺ.

(٤) البيت من الطويل، وهو للبيد بن ربيعة في: ديوانه ٥٦، والشعر والشعراء ٢٧٠/١، وحماسة البحتري ١٨٦

المطلب التاسع: (إذ) الحالية.

تقوم (إذ) في بعض سياقاتها اللغوية والمقامية بوظيفة الربط بين الجملة الواقعة حالا وصاحب الحال، ومما يؤكد ذلك **إمكانية إحلال (إذ) محل واو الحال**، فقد التفت سيبويه إلى صحة التناوب التركيبي بين (إذ) والواو في صدر جملة الحال، عند تحليل قوله –تعالى–: ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾[(١)]؛ فقد جعل بنيتها العميقة: إذ طائفةٌ في هذه الحال [(٢)]؛ وهذا الاستبدال يؤكد جواز مجيء (إذ) لمعنى الحالية في الاستعمال العربي. وقد وردت إذ الحالية في أربعة مواضع من القرآن الكريم ، وذلك في قوله – تعالى:

١– ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأَعْرَاف : ١٦٣]

٢– ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يس : ١٤]

٣– ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ ﴾ [ص : ٢١ - ٢٢]

٤– ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ [القَلَم : ٤٨]

لقد تمسك النحاة بالدلالة الزمنية لـ(إذ) في تحليل قوله –تعالى–: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ﴾ [الأَعْرَاف : ١٦٣] ، يرى الزجاج أن (إذ) تفيد الوقت في موضعيها من الآية الكريمة، فيقول: "(إذ يعدون في السبت) موضع "إذ" نصب، المعنى: سَلهم عن عُدُوهم في السبت، أي: سلهم عن وقت ذلك، (إذ تأتيهم): في موضع نصب أيضًا بـ (يعدون)، المعنى: سلهم إذ عَدَوْا في وقت الإتيان"[(٣)]، وذهب

---

(١) سورة آل عمران ١٥٤/٣

(٢) يقول سيبويه: "وأمَّا قوله –عزَّ وجلَّ–: ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾، فإنما وجهوه على أنه يغشى طائفةً منكم وطائفةٌ فى هذه الحال، كأنه قال: إذ طائفةٌ فى هذه الحال، فإنما جعله وقتًا ولم يُرِدْ أن يجعلها واو عطف، وإنما هى واو الابتداء". الكتاب لسيبويه ٥/٩٠,٤/١، وبذلك فسرها السيرافي أيضًا ، فقال: هذه الواو ليست بواو عطف...، وإنما هي واو الابتداء تقع للحال ... كأنه قال: يغشى طائفة منكم في حال طائفة قد أهمتهم أنفسهم، أو يغشى طائفة منكم إذ طائفة قد أهمتهم أنفسهم". شرح كتاب سيبويه ٣٨٨/١، ويقول المبرد أيضًا:" والمعنى –والله أعلم– إذ طائفة في هذه الحال، وكذلك قول المفسرين". المقتضب ١٢٥/٤

٣ – معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٨٤/٢

النحاس[١] في إعراب هذه الآية مذهب الزجاج في دلالتها على الوقت، وأضاف أن السؤال عن هذا الوقت سؤال توبيخ وتقرير، والحقيقة أن التوبيخ والتقرير لا يكون على الوقت، وإنما يكون على الحالة التي تلبسوا بها، وهي حالة الاعتداء والمخالفة.

وقد أدى تمسك النحاة بدلالة (إذ) على الزمن وإعرابها ظرفًا إلى الارتباك والحيرة في تحديد العامل الناصب لها؛ فاختلفوا في ذلك اختلافًا كبيرًا، إذ ذهب فريق منهم إلى أن العامل هو (سلهم) [٢]، وقد اعترض أبو حيان على ذلك التقدير، فقال: " ولا يتصور؛ لأن إذ ظرف لما مضى وسلهم مستقبل، ولو كان ظرفا مستقبلا لم يصح المعنى؛ لأن العادين وهم أهل القرية مفقودون؛ فلا يمكن سؤالهم [٣]".

وذهب آخرون إلى أن العامل محذوف، تقديره (خبر)، فالتقدير (عن خبر القرية)، وذهب آخرون إلى أن العامل هو كلمة (حاضرة)، يقول العكبري: "قَوْلُهُ تَعَالَى: (عن القرية) : أي عن خبر القرية، وهذا المحذوف هو الناصب للظرف الذي هو قوله: إذ يعدون ، وقيل: هو ظرف لحاضرة، وجوز ذلك أنها كانت موجودة في ذلك الوقت، ثم خربت[٤]"، وأضاف بعض المفسرين أنه يجوز أن يكون العامل هو (كانت)[٥]، وقد رد الألوسي الرأيين الأخيرين بقوله: "واحتمال كونه ظرفًا لكانت أو حاضرة ليس بشيء إذ لا فائدة بتقييد الركون أو الحضور بوقت العدوان[٦]".

وقد ذهب بعض النحاة إلى عد (إذ يعدون) بدلًا من القرية، فالتقدير:" واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت، وهو من بدل الاشتمال[٧]، وقد اعترض أبو حيان على ذلك التقدير، فقال: " وهذا لا يجوز؛ لأن (إذ) من الظروف التي لا تتصرف، ولا يدخل عليها حرف جر، وجعلها بدلا يجوز دخول عن عليها ؛ لأن البدل هو على نية تكرار العامل، ولو أدخلت عن عليها لم يجز[٨]". وليخرج بعض المعربين من طعن أبي حيان على إعراب إذ بدلا؛ جعلها اسمًا للزمان الماضي وليست ظرفًا[٩]،

---

١ – إعراب القرآن للنحاس ٧٦/٢

٢ – مشكل إعراب القرآن لمكي ٣٠٤/١

٣ – البحر المحيط في التفسير ٢٠٣/٥

٤ – التبيان في إعراب القرآن ٥٩٩/١– ٥٦٠

٥ – الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد ١٤٧/٣

٦ – روح المعاني ٨٤/٥

٧ – ينظر: الكشاف ١٧١/٢، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ٦١٣/١

٨ – البحر المحيط في التفسير ٢٠٣/٥

٩ – التحرير والتنوير ١٤٨/٩

وقد أعربها بعض النحاة مفعولًا به، واعترض السمين الحلبي على هذا التخريج بأنه "قول من عجز عن تأويلها على ما ينبغي لها من إبقائها ظرفًا[١]".

وهكذا نرى أن النحاة يرد بعضهم مذهب بعض عند تحديد عامل النصب؛ مما يدل على أن التمسك بالظرفية الزمانية في تصنيف (إذ)، والتمسك كذلك بقضية العامل، وفرض منطق العقل على منطق اللغة قد أوقع النحاة في الحيرة والارتباك، وأرى أن القول بأن (إذ) حرف دال على الحال، يخرجنا من الحيرة والارتباك في تحديد العامل، ويخرجنا كذلك من الشطط في التأويل والتقدير لمحذوفات تفرض فرضًا تعسفيًّا على النص ودلالته؛ ومن ثم فإنني أعد جملة (إذ يعدون في السبت) في محل نصب حال، وأن (إذ) حرف للحال رابط لها بصاحبها وهو (القرية)، باعتبارها مجازًا مرسلا عن أهل القرية علاقته المحلية، **فالمعنى – والله أعلم بمراده– : واسألهم عن أهل القرية التي كانت حاضرة البحر (حال كونهم يعدون في السبت)، ثم بين الله –عز وجل– علة اعتدائهم**، كما أن هذا الرأي الذي أراه مناسبًا في تحليل الآية الكريمة يحافظ على الغاية الدلالية من التعبير بالأفعال المضارعة (يعدون، تأتيهم، لا يسبتون)، واسم الفاعل (حاضرة) الذي يطلق عليه نحاة الكوفة الفعل الدائم، فكل هذه العناصر النحوية تفيد التجدد والاستمرار واستحضار الصورة أمام أعين المخاطبين، واعتبار (إذ) ظرفًا يدل على الماضي يهدر هذه الطاقات الدلاليَّة، فالله –عز وجل– حين طلب من نبيه محمد ﷺ أن يسأل اليهود عن أمر هذه القصة التي حدثت لهم في القديم والتي تبين قدم كفرهم وعنادهم لأوامر الله –عز وجل– واحتيالهم عليها لأجل توبيخهم وتقريرهم بما كان من أمرهم؛ ساق هذه القصة بتفاصيلها بما يجعلها وكأنها حاضرة الآن حادثة أمام أعينهم.

ومما يمكن الاستشهاد به من كلام العرب على وقوع (إذ) في صدر جملة الحال قول عنترة بن شداد[٢]:

وَلَقَدْ حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمِّي بِالضُّحَى إِذْ تَقْلِصُ الشَّفَتَانِ عَن وَضَحِ الفَمِ
فِي حَوْمَةِ الْحَرِبِ الَّتِي لَا تَشْتَكِي غَمَرَاتِهَا الأَبْطَالُ غَيْرَ تَغَمْغُمِ
إِذْ يَتَّقُونَ بِيَ الأَسِنَّةَ لَم أَخِمْ عَنْها وَلَكِنِّي تَضَايَقَ مُقْدَمِي

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٤٩٢/٥

(٢) البيت من الكامل، وهو من معلقة عنترة ابن شداد، في: ديوانه ١٩، وجمهرة أشعار العرب ٣٦٩، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٣٥٦، وشرح المعلقات السبع ٢٦٢، وشرح القصائد العشر ٢٠٩.

يقول: "ولقد حفظت وصيَّة عمي إياي في اقتحامي القتال ومناجزتي الأبطال في أشد أحوال الحرب، وهي حالة تقلص الشفاه عن الأسنان من شدة كلوح الأبطال والكماة فرقًا من القتل(١)".

ومما يمكن الاستشهاد به على وقوع (إذ) في صدر جملة الحال قول لبيد بن ربيعة(٢):

بَـلْ أَنـتِ لَا تَـدْرِينَ كَـمْ مِـنْ لَيـْلَةٍ طَلْـقٍ لَذِيـذٍ لَهْوُهَـا وَنِدَامُهَـا

قَـدْ بِـتُّ سَـامِرَهَا وَغَايَـةِ تَاجِـرٍ وَافَيْـتُ (إِذْ رُفِعَـتْ وَعَـزَّ مُدَامُهـَا)

أُغْلِـي السِّـبَاءَ بِكُـلِّ أَدْكَـنَ عَاتِـقٍ أَوْ جَوْنَـةٍ قُدِحَـتْ وَفُـضَّ خِتَامُهَـا

إن المتأمل في هذه الأبيات يجد أن دلالة الجملة المصدرة بـ (إذ) في عَجُزِ البيت الثاني هي الحالية، فـ(إذ) في هذا الموضع تفيد معنى واو الحالية إذا حلت محلها، ويدل الاستبدال اللغوي على جواز ذلك في هذا البيت؛ إذ المعنى: وافيتها وقد رُفعت وعزَّ مدامها، أي: وافيتها وهي على تلك الحالة التي لا يُقبل على شراء الخمر فيها أحدٌ لغلاء سعرها، وبهذه الدلالة يمكن عدها من العناصر التركيبيَّة التي تأتي في صدر جملة الحال، وتقوم بوظيفة الربط، فهي في تحقيق هذه الوظيفة كواو الحال، فقد" أدخلت العرب الواو في جملة الحال، ربطت بها بين الحال وصاحبها واستغنت بها عن الضمير، وقد يجتمعان تأكيدًا للربط، ولكن الجملة لا تخلو من واحد منهما، فلو لم يأت بواحدٍ منهما لم يحصل الربط بين الجملتين، ولا عُلم أن أحدهما قيد في الأخرى... غير أنه قد تأتي جملة الحال خالية منهما على تقدير الضمير، ويكون جائزًا كقولك: بيع السمن منوان بدرهم، تقديره: منوان منه بدرهمٍ... (٣)".

وليت شعري كيف يفطن النحاة إلى إمكانية حذف الأداة الرابطة لجملة الحال بصاحبها، ولا يلتفتون للعنصر اللغوي (إذ) كأداة رابطة في هذا الموضع في التراث النحوي وكتب التفسير؟!

وفي شرح الإمام الزوزني لمعلقة لبيد ما يمكن أن يعضد الرأي الذي أذهب إليه ؛ فقد فسرها بما يعرب حالا، فقال: "يتمدح بكونه لسان أصحابه وبكونه جوادًا لاشترائه الخمر **غاليةً** لندمائه(٤)".

---

(١) شرح المعلقات السبع ٢٦٢

(٢) البيت من الكامل، وهو للبيد بن ربيعة في: ديوانه ١١٣، وجمهرة أشعار العرب ٢٦٠، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٥٧٤، وشرح المعلقات السبع ١٩٣، وشرح القصائد العشر ١٦١.

(٣) شرح ألفية ابن مالك للشاطبي ٣/٥١٠-٥١١

(٤) شرح المعلقات السبع ١٩٣

لقد حققت (إذ) في بيت لبيد – بطريقة غاية في الإيجاز والدقة اللغوية– عدة وظائف متآلفة متكاثفة، وهي: الربط بصاحب الحال، والتمدد، والتقيد بقيد بالحال، مع دلالتها على الوقت.

ومما يمكن الاستشهاد به على وقوع (إذ) في صدر جملة الحال في الشعر العربي قول الشاعر[١]:

تَرْقَى وَتَطعَنُ فِي العِنَانِ وَتَنتَحِي وِرْدَ الْحَمامَــةِ إذ أَجَــدَّ حَمَامُهــا

فالمعنى أنها "ترفع عنقها نشاطًا، عدوها حتى كأنها تظعن بعنقها في عنانها وتعتمد في عدوها الذي يشبه ورد الحمامة حين جد الحمام التي هي في جملتها في الطيران لما ألح عليها من العطش[٢]، وقد أشار إلى معنى الحالية التبريزي حين شرح هذا البيت بقوله:" ومعنى البيت أن فرسه تُسرع كما تسرع هذه القطاة إلى شُرب الماء وهي في أثر قطا بعد الكلال والتعب[٣]"

ومنه قول قيس بن الحُدَادِيَّة الخزاعي[٤]:

أَلَا قَدْ يُسَلَّى ذُو الهَوَى، عَن حَبيبِهِ فَيَسلَى، وَقَدْ تُردِي الرِّجَالَ المَطَامِعُ

كَمَا قَدْ يُسَلَّى ، بالعِقَالِ، وَبِالعَصَا وَبِالقَيْدِ، ضِغْنُ الفَحْلِ، إِذْ هُوَ نَازِعُ

المطلب العاشر: (إذ) للمفاجأة وقطع الحدث بحدث آخر.

تجيء (إذ) للمفاجأة، ويذكر سيبويه أنها "تكون للشيء توافقه في حالٍ أنت فيها...، ولا يليها إلا الفعل الواجب، وذلك قولك: بينما أنا كذلك إذ جاء زيد، وقصدت قصده إذ انتفخ على فلانٌ. فهذا لما توافقه وتهجم عليه من حال أنت فيها[٥]"، ويكثر وقوع إذ الدالة على المفاجأة وقطع الحدث بعد (بينما) و(بينا)[٦]، ولكنها تجيء أيضًا للمفاجأة من غير أن يسبقها (بينما)، ولا (بينا).

(١) البيت من الكامل، وهو للبيد بن ربيعة في ديوانه ١١٥، وجمهرة أشعار العرب ٢٦٣، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٥٨٤، وشرح المعلقات السبع ١٩٦، وشرح القصائد العشر ١٦٦.

(٢) شرح المعلقات السبع ١٩٦

(٣) شرح القصائد العشر ١٦٧

(٤) البيت من الطويل، وهو لقيس بن الحدادية الخزاعي في: الاختيارين المفضليات والأصمعيات ٢٢٦

(٥) الكتاب لسيبويه ٤/ ٢٣٢

(٦) شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ٢٠٩

ويرى ابن يعيش أن استعمال (بينا) و(بينما) بغير (إذ) هو الأفصح، فيقول :" وكان الأصمعي لا يرى إلَّا طرح "إذ" من جواب "بينا" و"بينما"، ويستضعف الإتيان بها...، فأما قوله: بينا نحن نرقبه ... إلخ فشاهدٌ على استعمالها بغير "إذ"، وهو الأفصح [(١)]". ولا أدري كيف يحكم ابن يعيش على هذا النمط بالأفصح مع ورود شواهد كثيرة جدًّا لورودها بعد بينما أو بينا، وهو ما سنوضحه فيما يأتي.

ولم ترد إذ للمفاجأة في القرآن الكريم، ويمكن عرض هذه الأنماط الثلاثة في كلام رسول الله ﷺ وصحابته –رضي الله عنهم أجمعين– ممن رووا عنه، وكذلك في الشعر العربي، وذلك على التفصيل الآتي:

النمط الأول: أن تجيء إذ للمفاجأة بعد (بينما).

يتكون هذا النمط تركيبيًّا من (بينما...+ إذ...)، وهو النمط الأكثر شيوعًا في استعمال إذ الدالة على المفاجأة، وشواهد هذا النمط كثيرة في كلام رسول الله ﷺ وصحابته في أثناء روايتهم الحديث عن رسول الله ﷺ، فما ورد من هذا النمط في كلام النبي ﷺ ما يلي:

١– "بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: أَتَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟...[(٢)]".

٢– "بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ، إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ...[(٣)]".

٣– "بينا امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنَهَا إِذْ مَرَّ بِهَا رَاكِبٌ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، فَقَالَتْ: اللهمَّ لَا تُمِتِ ابْنِي حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ هَذَا، فَقَالَ: اللهمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ رَجَعَ فِي الثَّدْيِ...[(٤)]".

٤– "بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ...[(٥)]".

---

(١) شرح المفصل ١٢٦/٣، ويذهب ابن يعيش إلى أن إذ الواقعة بعد بينما وبينا " زائدة، فمعنى: (بينما زيد قائم رأى عمرًا) : بينما زيد قائم رأى عمرًا ". شرح المفصل ٣/ ١٢٦

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: العلم، باب: الخروج في طلب العلم(٤٢/١)، (رقم: ٧٨)، من حديث أبي بن كعب ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: الأنبياء، باب: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ ﴾ [الكَهْف : ٩] (١٢٧٨/٣)، (رقم: ٣٢٧٨) ، من حديث ابن عمر ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: الأنبياء، باب: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ ﴾ [الكَهْف : ٩] ، (١٢٧٩/٣)، (رقم: ٣٢٧٩)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٥) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: الأنبياء ، باب: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ ﴾ [الكَهْف : ٩] ، (١٢٧٩/٣)، (رقم: ٣٢٨٠)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

٥- "بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ مُضْطَجِعًا، إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ ...[١]".

٦- "بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ...[٢]".

٧- "بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يَمْشِي إِذْ أَصَابَهُ حَجَرٌ، فَعَثَرَ، فَدَمِيَتْ إِصْبَعُهُ[٣]".

٨- "فَبَيْنَمَا هُوَ فِي ظِلِّ صَخْرَةٍ فِي مَكَانٍ ثَرْيَانَ، إِذْ تَضَرَّبَ الْحُوتُ وَمُوسَى نَائِمٌ[٤]".

٩- "هَذَا الْأَمَلُ وَهَذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الْخَطُّ الْأَقْرَبُ[٥]".

١٠- "وَبَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ الْبَارِحَةَ إِذْ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ حَتَّى وُضِعَتْ فِي يَدِي[٦]".

وأما شواهد هذا النمط في كلام الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين- فقد أحصيت له في كتاب صحيح البخاري اثنين وثلاثين موضعًا[٧].

ومن هذا النمط التركيبي في الشعر العربي قول جميل بن مَعْمَر العُذري[٨]:

بَيْنَمَـــا هُـــنَّ بِـــالأَرَاكِ مَعًـــا إِذْ أَتَـــى رَاكِـــبٌ عَلَـــى جَمَلِـــهْ

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: المعراج (٣/١٤١٠/٣٦٧٤)، من حديث مالك بن صعصعة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: اللباس، باب: من جر ثوبه من الخُيَلاء (٥/٢١٨٢/٥٤٥٢)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: الأدب، باب: ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يُكره منه. (٥/٢٢٧٦)، (رقم: ٥٧٩٤)، من حديث جُنْدَب ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: التفسير ، باب: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾ [الكَهْف : ٦١] (٤/١٧٥٤)، (رقم: ٤٤٤٩)، من حديث أبي بن كعب ﷺ.

(٥) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: الرقاق، باب: في الأمل وطوله، (٥/٢٣٥٩)، (رقم: ٦٠٥٥)، من حديث أنس ﷺ.

(٦) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: التعبير، باب: رؤيا الليل، (٦/٢٥٦٨)، رقم (٦٥٩٧)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٧) ينظر: صحيح البخاري، الأحاديث رقم: ٦٦، ٤٩٨، ٦٠٩، ٨٣٨، ٨٩٠، ٨٩٤، ٩٦٩، ١٢٠٦، ١٧٢٨، ١٧٣٣، ١٨٢٨، ١٨٣٤، ١٩٣٥، ٢٣٠٩، ٢٥٨١، ٢٦٤٧، ٢٨٩٧، ٢٩٦٩، ٣٢٠٨، ٣٦٥٣، ٣٦٥٩، ٣٩٩٣، ٤٠٩٩، ٤٧٣٠، ٥٤٠٤، ٦٢٣٢، ٦٢٦٦، ٦٢٨٨، ٦٥٤٥، ٦٦٢٥، ٦٧٢٦، ٦٨٣٢.

(٨) البيت من الخفيف، وهو لجميل بن معمر العذري، في ديوانه ٥٢، وبلا نسبة في: معاني القرآن للفراء ١/٤٥٩، شرح كتاب سيبويه للسيرافي ١/٧٥، وشرح التسهيل لابن مالك ٢/٢٠٩

ومثله قول الشاعر[١]:

اسْـتَقْدِرِ اللهَ خَيْـرًا وارضَـينَّ بِـهِ فَبَيْنَمَـا العُسْـرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِـيرُ

النمط الثاني: أن تجيء (إذ للمفاجأة) بعد (بينا).

وشواهد هذا النمط كثيرة في كلام رسول الله ﷺ وصحابته في أثناء روايتهم الحديث عن رسول الله ﷺ، فما ورد في كلام النبي ﷺ ما يلي:

١- "بينا امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنَهَا إِذْ مَرَّ بِهَا رَاكِبٌ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، فَقَالَتْ: اللهمَّ ...[٢] ".

٢- "بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ[٣]".

٣- "بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي...[٤]".

٤- "بَيْنَا أَنَا عَلَى بِئْرٍ أَنْزِعُ مِنْهَا إِذْ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ الدَّلْوَ... [٥]".

٥- "بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أُوتِيتُ خَزَائِنَ الْأَرْضِ، فَوُضِعَ فِي يَدَيَّ سِوَارَينِ مِنْ ذَهَبٍ...[٦]".

٦- "بَيْنَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ، إِذْ خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ[٧]".

---

(١) البيت من البسيط، وهو لجبلة العذري في: الحماسة البصرية ٦٤/٢، وبلا نسبة في: عيون الأخبار لابن قتيبة ٣٢٨/٢، وشرح كتاب سيبويه للسيرافي ٢٦٣/٤، واللمع في العربية لابن جني ١٩٩.

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: الأنبياء، باب: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ [الكَهْف : ٩] (١٢٧٩/٣)، (رقم: ٣٢٧٩)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: الأنبياء، باب: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ [الكَهْف : ٩] (١٢٨٠/٣)، (رقم: ٣٢٨٤)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، (٥/١)، (رقم: ٤)، من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ.

(٥) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: التعبير، باب: نزع الماء من البئر حتى يروّى الناس. (٢٥٧٥/٦)، (رقم: ٦٦١٦)، من حديث ابن عمر ﷺ.

(٦) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: التعبير، باب: النفخ في المنام (٢٥٨٠/٥)، (رقم: ٦٦٣٠)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٧) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: اللباس، باب: من جر ثوبه من الخيلاء. (٢١٨٢/٥)، (رقم: ٥٤٥٣)، من حديث سالم بن عبد الله ﷺ.

وأمَّا شواهد هذا النمط في كلام الصحابة –رضي الله عنهم أجمعين– فقد أحصيت له في كتاب صحيح البخاري ستة وعشرين موضعًا(١). ومن هذا النمط التركيبي في الشعر العربي القديم قول الشاعر(٢):

فبَيْنَـــا نَحْـــنُ نَرْقُبُـــهُ أَتَانَـــا مُعَلِّـــقَ وفْضَـــةٍ وَزِنَـــادَ رَاعِـــي

النمط الثالث: وقوع إذ للمفاجأة من غير أن يسبقها (بينما) ولا (بينا).

وشواهد هذا النمط كثيرة في كلام صحابة رسول الله ﷺ، وقد أحصيت لهذا النمط في صحيح البخاري خمسة وعشرين موضعًا؛ مما يدل على أن إذ يكثر وقوعها دالة على المفاجأة من غير أن يسبقها (بينما) ولا (بينا)، وبتأمل هذه المواضع نجد أنه يكثر ورود الفعل الناسخ (كان) قبلها(٣)، كما في حديث أنس بن مالك : "كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ –ﷺ– إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ إِحْدَى بَنَاتِهِ(٤)"، أو الحرف الناسخ (إن) (٥)، كما في حديث أنس بن مالك ﷺ:" فَإِنِّي لَقَائِمٌ أَسْقِي أَبَا طَلْحَةَ وَفُلَانًا وَفُلَانًا إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: وَهَلْ بَلَغَكُمُ الْخَبَرُ؟ (٦)". ويندر أن يقع قبلها فعل تام(٧)، كما في حديث أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها–: "أَرِقَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقَالَ: (لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ) إِذْ سَمِعْنَا صَوْتَ السِّلَاحِ"(٨).

---

(١) ينظر: صحيح البخاري، الأحاديث رقم: ٢٩٤، ٣٩٥، ١٧٥١، ٢٥١٨، ٢٣٩٤، ٢٧٠٦، ٢٩٨٩، ٣٠١٤، ٣٤٧٧، ٣١٧٩، ٣٣٨٩، ٣٤٠٠، ٣٦٢٣، ٣٦٤٣، ٤٠٧٤، ٣٩١٢، ٣٩٠٨، ٤٢٧٨، ٤٣٢٢، ٤٤٠٨، ٤٤٤٤، ٤٦٢٩، ٤٦٤٧، ٥١٢٩، ٥١٧٣، ٦٦٨٣.

(٢) البيت من الوافر، وهو لنُصيب بن رباح في: ديوانه ١٠٤، ونسب لرجل من قيس عيلان في: الكتاب ١٧١/١، وبلا نسبة في: معاني القرآن للفراء ٣٤٦/١، وشرح أبيات سيبويه ٢٦٧/١، وشرح المفصل ١٢٣/٣

(٣) ينظر: صحيح البخاري، الأحاديث رقم: ٢٣٧، ٤١١، ٥٤٧،٧٧٥، ١٧٩٣، ١٣٣٩، ٢١٦٨، ٢٢٤٥، ٥٦٨٠، ٥٨٩١، ٦٠٤٨.

(٤) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: التوحيد، باب: قول الله –تبارك وتعالى–: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإِسْرَاء : ١١٠] (٢٦٨٦/٦)، (رقم: ٦٩٤٢)، من حديث أسامة بن زيد ﷺ.

(٥) ينظر: صحيح البخاري، الأحاديث رقم: ١٤٢٤، ٣٧٦٦، ٣٩٤٠، ٤٤٤٩، ٤٧٠٧، ٤٨٥٤، ٥٢٧٨.

(٦) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المَائِدَة : ٩٠] (١٦٨٨/٤)، (رقم: ٤٣٤١)، من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٧) ينظر: صحيح البخاري، الأحاديث رقم: ٢١٣٩، ٤٨٥٢، ٥٠٤٣، ٥٦٢٣.

(٨) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: التمني، باب: قوله ﷺ: ليت كذا وكذا. (٢٦٤٢/٦)، (رقم: ٦٨٠٤)، من حديث أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها–.

المطلب الحادي عشر: (إذ) التوكيدية بمعنى (قد).

لم ترد (إذ) بمعنى (قد) في القرآن الكريم ولا في كلام رسول الله ﷺ وصحابته ﷺ، وجاءت (إذ) بمعنى (قد) في صدر جملة النعت في قول لبيد بن ربيعة[١]:

وَغَـدَاةِ رِيـحٍ قَـدْ وَزَعْـتُ وَقَـرَّةٍ **إِذْ أَصبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا**

وقد التفت بعض شراح هذه القصيدة إلى هذا المعنى؛ فقد شرح الإمام الزوزني –رحمه الله– هذا البيت بما يدل على هذا المعنى، فمعنى البيت عنده: " كم من غداة تهب فيها الشمال وهي أبرد الرياح، **وبرد قد ملكت الشمال زمامه** قد كففت عادية البرد عن الناس بنحر الجزر لهم[٢]"، وكذلك ذكر الإمام أبو بكر الأنباري أن لبيد في هذا البيت " إنما **يصف** شدة البرد والجوع[٣]".

وبهذا يمكن إعراب (إذ) في البيت السابق: حرف توكيد مبني على السكون لا محل له من الإعراب، والجملة المصدرة بـ(إذ) في محل جر نعت، ولا مانع من القول بأن (إذ) في البيت السابق تجمع بين الدلالة الزمنيَّة والدلالة التأكيديَّة، فنعربها ظرف متعلق بالفعل وزعت مبني على السكون في محل نصب، والجملة بعده في محل جر مضاف إليه، وهو ما ذهب إليه بعض المحدثين في إعراب هذا البيت[٤]". وأنكر المرادي أن تجيء إذ بمعنى قد، فقال: "وزاد بعضهم لـ (إذ) قسمًا سابعًا، وهو أن تكون بمعنى قد، وجعل إذ في قوله –تعالى–: "وإذا قال ربك"، بمعنى قد، وليس هذا القول بشيء[٥]".

(١) البيت من الكامل، وهو للبيد بن ربيعة في ديوانه ١١٤، وجمهرة أشعار العرب ٢٦١، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٥٧٨، وشرح المعلقات السبع ١٩٤، وشرح القصائد العشر ١٦٣ .

(٢) شرح المعلقات السبع ١٩٤.

(٣) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٥٧٨.

(٤) فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال ٨٥/٢.

(٥) الجنى الداني في حروف المعاني ١٩٢.

المبحث الثاني

تكرار (إذ) وأثره في التماسك النصي في القصص القرآني

يؤدي التكرار وظائف عديدة في التماسك النصي، فهو يحقق الربط الشكلي، ويقوم بتقوية المعنى وتوكيده حين يكرر اللفظ بنفس المعنى، ويؤدي إلى نمو وتكثيف الدلالة داخل النص حين يكرر اللفظ بمعان متعددة؛ ومن ثم يبرز دوره في البناء الشكلي والدلالي للنص.

وتتكرر إذ كثيرًا في أثناء القصص القرآني، ويعد ذلك وسيلة من وسائل التماسك النصي بين آيات القصة القرآنية، ويمكن استعراض ذلك على النحو التالي:

النمط الأول: تكرار (إذ) مع اتحاد الدلالة.

أ- تكرار (وإذ) للدلالة على تفصيل الامتنان.

يبين الله -سبحانه وتعالى- مواضع امتنانه على بني إسرائيل في ست وأربعين آية (من الآية ٤٧ إلى الآية ٩٣) من سورة البقرة، ونجد أن تفصيلات هذا الامتنان قد صدِّر بقوله -تعالى-: (وإذ...)، فتكرر هذا العنصر اللغوي (وإذ) خمس عشرة مرة، وقد أحدث هذا التكرار تماسكًا دلاليًّا بين موضوع الآيات الكريمة، وهو بيان مظاهر تفضل الله وإنعامه على بني إسرائيل في مقابل جحود بني إسرائيل لكل نعمة من هذه النعم.

فالجملة المحورية في هذه الجملة الدلالية الكبيرة المكونة من ٤٦ آية هي قوله -تعالى-:

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ

وهذه الجملة تقطر خلفها مجموعة كبيرة من الجمل المبدوءة بـ(وإذ) والتي جاءت لتفصيل الإجمال الوارد في هذه الجملة المحورية، وهذه الجمل التفصيلية هي خمس عشرة جملة مبدوءة جميعها بقوله -تعالى- (وإذ):

١- وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ ...

٢- وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ ...

٣- وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم..

٤- وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ...

٥- وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾

٦- وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ...

٧- وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ...

٨- وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ ...

٩- وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ ...

١٠- وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ ...

١١- وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ۖ ...

١٢- وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ...

١٣- وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ...

١٤- وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ...

١٥- وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ ۖ ...

لقد حققت (وإذ) في هذه الجملة الدلالية الكبرى وظيفتين دلاليتين، أولاهما: التفصيل لمواضع النعم والتفضل، والأخرى تتابع القص وموالاته، كما حققت وظيفة شكلية، وهي الربط بين هذه المواضع لئلا يبتعد القارئ عن المقصود الدلالي لمجموعها.

ومن مواضع ذلك النمط أيضًا في القرآن الكريم قوله -تعالى-:﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ * إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [آل عِمْرَان : ١٥٢ - ١٥٣] ، فقد تكررت (إذ) في هذه هاتين الآيتين مرتين، محدثة نوعًا من التماسك النصي، وهي متحدة الدلالة؛ فهي في الموضعين للتفصيل.

ومن مواضع ذلك النمط في القرآن الكريم أيضًا قوله –تعالى–:﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التَّوْبَة : ٤٠]، فقد تكررت (إذ) في هذه الآية الكريمة ثلاث مرات دالة تتابع تفصيل مواطن نصر الله وتأييده له.

ومن مواضع ذلك النمط في القرآن الكريم أيضًا قوله –تعالى–:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إِبْرَاهِيم : ٦ - ٧]

ب- تكرار (إذ) لمعنى البدلية وتوضيح المقصود بالحكم

ومن مواضع هذا النمط قول الله –تعالى–: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البَقَرَة : ١٣٣] فقد تكررت (إذ) في هذه الآية الكريمة مرتين، محدثة نوعًا من التماسك النصي، فالتقدير والمعنى: أم كنتم شهداء يعقوب حين حضور موته[١]، وقت قوله لبنيه، فالأولى ظرف ناصبه (شهداء)، والثانية بدل من الأولى[٢]، فتكون معمولًا أيضًا لـ(شهداء)؛ لأن العامل في البدل هو العامل في المبدل منه، أو معمولًا لـ(حضر) فلا تكون بدلًا [٣]، أو تفصيلية لما حدث وقت الموت.

ومن مواضع ذلك النمط في القرآن الكريم أيضًا قوله –تعالى–:﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البَقَرَة : ١٦٥ - ١٦٦]، فقد تكررت (إذ) في هاتين الآيتين الكريمتين مرتين، محدثة نوعًا من التماسك النصي، فالتقدير والمعنى: ولو يرى الذين ظلموا أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب إذ(حين) يرون العذاب إذ(حين) تبرأ الكفار بعضهم من بعض في هذا الوقت وقت رؤية العذاب، فالثانية بدل يبين المقصود بالحكم من الأولى.

---

١ – ينظر: تفسير الطبري ٥٨٦/٢

٢ – ينظر: معانى القرآن للأخفش ١٥٨/١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢١٢/١

٣ – ينظر: مفاتيح الغيب ٦٥/٤، والتبيان في إعراب القرآن ١١٨/١، والبحر المحيط في التفسير ٦٤٠/١

ج- تكرار (إذ) لتتابع القص

ومن مواضع ذلك النمط في القرآن الكريم قوله -تعالى-:﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [آل عِمْرَان: ١٢١ : ١٢٤] ، فقد تكررت (إذ) في هذه الآيات الأربعة ثلاث مرات، محدثة نوعًا من التماسك النصي، وهي متحدة الدلالة؛ فهي في الموضع الأول لاستفتاح القص، وفي الموضعين الثاني والثالث لتتابع القص.

ومن مواضع ذلك النمط في القرآن الكريم أيضًا قوله -تعالى-:﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ٧ - ١٢] ، فقد تكررت (إذ) في هذه الآيات الخمسة أربع مرات، محدثة نوعًا من التماسك النصي، وهي متحدة الدلالة؛ فهي في الموضع الأول لاستفتاح القص، وفي المواضع المتتالية بعد ذلك لتتابع القص.

ومن مواضع ذلك النمط في القرآن الكريم أيضًا قوله -تعالى-: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ

ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٤٧﴾ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٤٩﴾

[الأنفال : ٤٢ - ٤٩] ، فقد تكررت إذ في هذه الآيات سبع مرات دالة في الموضع الأول على استفتاح القصص، ودالة في المواضع التالية على تتابع القص.

د- تكرار (إذ) دالة على الحينيَّة

تكررت (إذ الحينية) سبع مرات في جزء من معلقة الحارث بن حلزة اليشكري:

هَلْ عَلِمْتُمْ أَيَّامَ يُنْتَهَبُ النَّا ... سُ غِوَارًا لِكُلِّ حَيٍّ عُوَاءُ

إِذْ رَفَعْنَا الْجِمَالَ مِنْ سَعَفِ البَحْـ ... ـرَيْنِ سَيرًا حَتَّى نَهَاهَا الْحِسَاءُ

....

مَلِكٌ أَضْرَعَ البَرِيّةَ لَا يُو ... جَدُ فِيهَا لِمَا لَدَيْهِ كِفَاءُ

كَتَكَالِيفِ قَوْمِنَا إِذْ غَزَا الْمُنْـ ... ـذِرُ هَلْ نَحْنُ لِابْنِ هِنْدٍ رِعَاءُ

مَا أَصَابُوا مِنْ تَغْلَبِيٍّ فَمَطْلُو ... لٌ عَلَيْهِ إِذَا أُصِيبَ العَفَاءُ

إِذْ أَحَلَّ العَلْيَاءَ قُبَّةَ مَيْسُو ... نَ فَأَدْنَى دِيارِهَا العَوْصَاءُ

فَهَدَاهُمْ بِالأَسْوَدَينِ وَأَمْرُ اللهِ ... بِلْغٌ تَشْقَى بِهِ الأَشْقِيَاءُ

إِذْ تَمَنَّوْنَهُمْ غُرُورًا فَسَاقَتْـ ... ـهُمْ إِلَيْكُمْ أَمْنِيَّةٌ أَشْرَاءُ

....

مَنْ لَنَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ آيَا ... تٌ ثَلاثٌ فِي كُلِّهِنَّ القَضَاءُ

آيَةٌ شَارِقُ الشَّقِيقَةِ إِذْ جَا ... ءَتْ مَعَدٌّ لِكُلِّ حَيٍّ لِوَاءُ

....

مَـا جَزِعْنَـا تَحْـتَ العَجَاجَـةِ إِذْ وَلَّـ وْا شِـلَالًا وإذ تَلَظَّـى الصِّـلَاءُ
وَأَقْـدْنَاهُ رَبَّ غَسَّـانَ بِالْمُنْـ ـذِرِ كَرْهًـا إِذْ لَا تُكَـالُ الـدِّمَاءُ

فقد تكررت (إذ) في هذا النص ثماني مرات، دالة على معنى الحينية، والمعنى: "هل قاسيتم من المشاق والشدائد ما قاسى قومنا حين غزا منذر أعداءه فحاربهم؟ ... ذكر أنهم نصروا الملك حين لم ينصره بنو تغلب، وعيّرهم بأنهم رعاء الملك وقومه يأنفون من ذلك. ويقول ما قتلوه من بني تغلب أهدرت دماؤهم حتى كأنها غطيت بالتراب ودرست، يريد أن دماء بني تغلب تهدر ودماؤهم لا تهدر بل يدركون ثأرهم... وإنما كان هذا حين أنزل الملك قبة هذه المرأة علياء وعوصاء التي هي أقرب ديارها إلى الملك... حين تمنيتم قتالهم إياكم ومصيرهم إليكم اغترارًا بشوكتكم وعدتكم، فساقتهم إليكم أمنيتكم التي كانت مع البطر... إحداها شارق الشقيقة حين جاءت معد بألويتها ورياتها... ما جزعنا تحت غبار الحرب حين تولوا في حال الطراد ولا حين تلهب نار الحرب... يقول: وأتيناهم بتسعة من الملوك وقد أسرناهم وكانت أسلابهم غالية الأثمان لعظم أخطارهم وجلالة أقدارهم(١)".

النمط الثاني: تكرار (إذ) مع تعدد الدلالة.

ومن مواضع هذا النمط في القرآن الكريم قوله–تعالى–: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [آل عِمْـرَان : ٤٤ - ٤٥] ، فقد تكررت (إذ) في هذه الآية الكريمة ثلاث مرات، محدثة نوعًا من التماسك النصي، فدلالة الأولى والثانية حينية أما الثالثة فلاستفتاح القص الذي دل عليه ما قبله، وهو قوله – تعالى–: (إذ يختصمون).

ومن مواضع ذلك النمط في القرآن الكريم أيضا قوله –تعالى–:﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ

(١) شرح المعلقات السبع ٢٧٨– ٢٨٢

ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [المَائِدَة : ١١٠ - ١١٢]، فقد تكررت (إذ) في هذه الآيات الثلاثة ثمانية مرات، محدثة نوعًا من التماسك النصي، فقد دلت الأولى على استفتاح القص، وفي الموضع الثاني لتفصيل النعمة والامتنان، ثم يعطف عليها إذ أربع مرات بيانًا لتتابع التفصيل، يتخللها إذ حينية، ثم تأتي إذ الأخيرة لتتابع القص.

ومن مواضع ذلك النمط في القرآن الكريم أيضًا قوله –تعالى–:﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٣﴾ [الأَعْرَاف : ١٦٣] ، فقد تكررت (إذ) في هذه الآية الكريمة مرتين، محدثة نوعًا من التماسك النصي، وقد دلت في الموضع الأول على الحاليَّة، وجاءت في الموضع الثاني تعليليَّة.

المبحث الثالث

مشكلات التحليل النحوي لـ(إذ) عند النحاة القدماء

وقع النحاة المعربون للقرآن الكريم في مشكلات عديدة عند تحليل التراكيب النحوية التي تشتمل على إذ؛ ويرجع ذلك إلى قصور إجراءاتهم أحيانًا في التحليل؛ إذ لم يراعوا في كثير من مواضع التحليل النحوي السياق اللغوي الداخلي(سياق المقال)، والسياق الخارجي (سياق المقام)، وكذلك لم ينظروا نظرة شاملة إلى الدلالة المستفادة من عموم النص، إضافة إلى عدم القيام باستجلاء الدلالات المتعددة لهذا العنصر اللغوي ووظائفه المتعددة في اللسان العربي، وخاصة وظيفته في إحداث التماسك النصي، وتمسكهم بأحادية الدلالة، والحقيقة أنها تتعدد في النص بدلالات مختلفة؛ ومن ثم يختلف تحليلها وإعرابها، ويمكن عرض هذه المشكلات بشيء من التفصيل على النحو التالي:

أ- مشكلات في الاستدلال النحوي:

يقع النحاة في خلط كبير حين يستدلون على اسمية (إذ) الظرفية بـ(إذ الحرفية) الدالة على معانٍ أخرى غير معنى الظرفية؛ يقول أبو حيان الأندلسي: " والدليل على اسميتها الإخبار بها، والإبدال منها، وتنوينها في غير ترنم، والإضافة إليها بلا تأويل، نحو: مجيئك إذ جاء زيد، ورأيتك أمس إذ جئت، ويومئذ، و﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ [(١)]"، فمن خلال هذا النص نجد أن أبا حيان يحتج لاسمية إذ الظرفية بدخول التنوين عليها، رغم أن دخول التنوين على (إذ) يجعلها تخرج عن معنى الظرفية؛ فتصبح – كما يقرر البحث– أداة مركبة مع الظرف التي أضيفت إليه للإحالة إلى جملة أو جمل سابقة، تعويضًا واختصارًا، وهي حينئذ مفرغة من معنى الحينية. ويحتج أبو حيان على اسميتها بالإضافة أيضًا، ويستشهد بقوله –تعالى–:﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ [آل عِمْرَان : ٨]، وإذ في هذه الآية لا تدل على الظرفية الحينية، بل هي حرف مصدري، والتقدير: بعد هدايتك إيانا، كما سيأتي بيانه .

وقد تابع النحاة المتأخرون[(٢)] أبا حيان في هذا الاستدلال وكذلك بعض المحدثين[(٣)] عندما عالجوا هذه القضية الاستدلالية، فقد اكتفوا بنقل هذه الأدلة دون تعقيبٍ عليها أو بيان للخلط الواقع فيها؛ وهذا يدل

(١) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل ٧/٢٩١.

(٢) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٢/ ١٧٢.

(٣) أسلوب (إذ) في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية ٩.

على أن ملامح هذا العنصر اللغوي لم تكن واضحة في أذهانهم، وأنهم تأثروا بمنطق العقل وغلبوه على منطق اللغة.

ب- مشكلات في التصنيف الدلالي للعناصر اللغوية:

تلزم إذ عند النحاة النصب على الظرفية الزمانية الماضية، ولا تتصرف إلا بإضافة الظرف إليها؛ ومن ثم أهدر النحاة إحدى خصائص اللغة العربية، وهي المرونة في تفسير معاني العناصر اللغوية، بحسب السياقات التي ترد فيها، وقد فطن النحاة لذلك في تناولهم حروف المعاني، لكنهم حجروا واسعًا، حين جمدوا دلالات إذ في دلالة واحدة، وحاولوا أن يردوا كل استعمال إلى هذا المعنى قسرًا، والواقع اللغوي يشهد بتعدد استعمالات إذ في اللسان العربي، وهو ما تم بيانه على مدار البحث.

ج- مشكلات في الإعراب وتحديد العامل:

ترتب على قصور نظر النحاة لـ(إذ) ودلالاتها مشكلات كثيرة في الإعراب وتحديد العامل، ومن ذلك - على سبيل المثال لا الحصر- إعرابهم (إذ) بدلًا في مواضع لا تستقيم الدلالة فيها على البدلية، وعدم وضوح العامل في تحليلها. فللبدل وظيفة دلالية لا تقوم إلا به، فالبدل يوضح المقصود بالحكم، وهو على نية الإحلال محل المبدل منه، وهناك مواضع لـ(إذ) يستقيم فيها ذلك، ولكنه في مواضع كثيرة لا تستقيم فيها الدلالة على هذا المعنى، ومع ذلك نجد النحاة يعربون (إذ) اللاحقة بدلًا من (إذ) السابقة عليها، ومن ذلك إعرابهم (إذ) المتكررة في قوله -تعالى-: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ۝١١ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝١٢﴾ [الأنفال : ٧ - ١٢].

يرى بعض النحاة أن (إذ) في المواضع الثلاثة (إذ تستغيثون...)، و(إذ يغشيكم النعاس أمنة...)، و(إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم...) بدل من (وإذ يعدكم...)[١]، وقد ذكر الطيبي أن إعراب البدلية بعيد؛ لأن "زمان الوعد غير زمان الاستغاثة، إلا على تأويل أن الوعد والاستغاثة وقعا في زمان واسع، كما تقول: لقيته سنة كذا[٢]"، وأرى أن هذا التأويل بعيد، وزاد بعضهم في هذا التأويل أنه "يحتمل بدل الكل إن جعلا متسعين، وبدل البعض إن جعل الأول متسعًا والثاني معيارًا[٣]"، ومع أن النحاة قد اعترضوا على هذا الوجه، إلا أنه لم تتفق كلمتهم فاختلفوا في إعرابها في هذه المواضع الثلاثة وتعددت آراؤهم[٤]، فذهب بعضهم في الموضع الأول (إذ تستغيثون) إلى أنه مفعول به منصوب بـ(اذكر) مضمرًا[٥]، ولو سلمنا بأن الأمر كذلك لقدرنا (اذكر) في كل موضع تكررت فيه (إذ)، وقدرنا في القرآن ما ليس منه، وذهب بعض النحاة إلى إعرابها ظرفًا، واختلفوا في عامل النصب، فذهب بعضهم إلى أنه منصوب بـ(يحقُّ)[٦]، أي: يحقُّ الحق وقت استغاثتكم ... وهو غلط؛ لأن (ليحق) مستقبل؛ لأنه منصوب بإضمار (أن)، و(إذ) ظرف لما مضى، فكيف يعمل المستقبل في الماضي؟[٧]، وذهب بعض النحاة إلى أنه منصوب بـ(يعدكم)[٨]، وذهب بعضهم إلى أنه منصوب بقوله (تَوَدُّون)، "وفيه بعد لطول الفصل[٩]".

---

(١) تفسير الكشاف ٢٠٠/٢

(٢) حاشية الطيبي على الكشاف ٣٢/٧

(٣) روح المعاني ١٦١/٥

(٤) يعدد العكبري الأوجه الإعرابية الجائزة في (إذ) في هذا الموضع بقوله: "يجوز أن يكون بدلًا من (إذ) الأولى، وأن يكون التقدير: اذكروا، ويجوز أن يكون ظرفًا لـ(تودون)". التبيان في إعراب القرآن ٦١٧/٢، ويضيف المنتجب الهمذاني على هذه الأوجه الإعرابية الجائزة في إذ في هذا الموضع "أن يكون من صلة قوله: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾". الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد ١٨٩/٣، وينظر: البحر المحيط في التفسير ٢٧٨/٥ ، وينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٥٦٥/٥

(٥) وهو مذهب ابن عطية. ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥٠٤/٢

(٦) وهو رأي مكي بن أبي طالب. ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية ٢٧٤٦/٤، ونسب أبو حيان هذا الرأي للطبري. ينظر: البحر المحيط في التفسير ٥/ ٢٧٨، وينظر: تفسير الكشاف ٢٠٠/٢.

(٧) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٥٦٥/٥

(٨) نسبه أبو حيان للطبري والحوفي. ينظر: البحر المحيط في التفسير ٢٧٨/٥

(٩) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٥٦٥/٥

وهذه الآراء المردودة من النحاة أنفسهم تدل أيضًا على أن فرض منطق العقل على منطق اللغة يؤدي إلى التخبط في التأويل والتقدير، وبتأمل أمثال هذه المواضع في القرآن الكريم نجد أنها تدل على تتابع القص، فالزمان مختلف في كل هذه الأحداث المتتابعة، فهي حرف يقوم بهذه الوظيفة، أمَّا تكرارها فيحدث نوعًا من التماسك والترابط النصي.

وجديرٌ بالذكر أيضًا أن تمسك النحاة بالدلالية الزمنية لـ (إذ) وقصرها على هذه الدلالة دون غيرها من الدلالات المتعددة المستفادة من السياقات المتعددة لها قد أوقع النحاة في الارتباك عند تحليل التراكيب النحوية المشتملة عليها؛ مما ألجأهم إلى تقدير محذوفات كثيرة، لا يوحي بها الاستعمال اللغوي، ولا داعي لتقديرها، إذ المعنى المفهوم الواضح بخلاف هذه التقديرات المتكلفة، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجدهم في قول الله – تعالى– ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الأَحْقَاف : ١١] يقدر بعضهم فعلًا ناصبًا لـ(إذ) تقديره: ظهر عنادهم[١]؛ ليتفق زمنيًّا مع دلالة (إذ) الزمنية، ومع أن هذه الجملة التي قدروها مستفادٌ تقديرُها من قوله –تعالى–: ﴿ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾، إلا أنهم امتنعوا من عد (فسيقولون) عاملًا في إذ النصب؛ وذلك لتعارض زمنيهما، ولحيلولة الفاء[٢]، وهذا مثالٌ صارخٌ على زيادة ما ليس من القرآن في القرآن؛ لا لشي إلا ليوافق تحليلهم أصولهم العقلية التي تمسكوا بها وفرضوها على طبيعة اللغة المرنة، والحق أن اللغة العربية بصفة عامة والقرآن الكريم بصفة خاصة – وهو أعلى مراتب البلاغة والفصاحة والبيان– هو الذي يحكم على القاعدة النحوية، وليست القاعدة هي التي تتحكم في اللغة؛ لأن السماع هو المصدر الأول للتقعيد النحوي.

وقد التفت بعض النحاة إلى معنى التعليل في هذه الآية، يقول الزمخشري: "وكان قوله: (فسيقولون) مسببًا عنه[٣]"، ورغم ذلك لم ينسب الزمخشري هذا المعنى لـ(إذ)، وكذلك لاحظ أبو حيان هذه العلاقة التعليلية، حين قال:" وقوله : (فسيقولون) مسبب عن ذلك الجواب المحذوف؛ لأن هذا القول هو ناشئ عن العناد[٤]"، ورغم ذلك لم ينسب أبو حيان معنى التعليل لـ(إذ)، ولم يخرجها من زمرة

(١) تفسير الكشاف ٣٠١/٤

(٢) تفسير الكشاف ٣٠١/٤، وينظر: البحر المحيط في التفسير ٤٣٧/٩ – ٤٣٨، والتبيان في إعراب القرآن ١١٥٥/٢، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد ٥/ ٦٠١

(٣) تفسير الكشاف ٤/ ٣٠١

(٤) البحر المحيط في التفسير ٤٣٧/٩–٤٣٨

الأسماء إلى زمرة الحروف الدالة على التعليل، وحكم عليها بالظرفية الزمنية وتلمس لها عاملًا محذوفًا ليتفق مع زمنها الماضي.

والأولى في رأيي الحكم بحرفية (إذ) ودلالتها على معنى التعليل، فالمعنى: ولأنهم لم يهتدوا به فسيقولون، وبذلك يتعلق (إذ) بالفعل (فسيقولون) تعلقًا طبيعيًّا من جهة تعلق الحروف بالأفعال، وهو ما يتفق مع المعنى الظاهر للآية الكريمة الذي لا يحتاج إلى أي تأويل.

كذلك تجدر الإشارة إلى أن اختلاف النحاة في تحديد عامل النصب في (إذ) في كثير من مواضع استعمالها يرجع إلى اختلافهم في تقدير معنى الآية الكريمة، ولقد أبعد معربو القرآن الكريم في تحديد هذا المعنى؛ حتى إنهم ليفرضون أحيانًا على تراكيب اللغة أن تسير قسرًا في مسارات حددوها هم لها، دون النظر إلى سياقات الاستعمال، وطبيعة اللغة المرنة.

الخاتمة

أوضح البحث أن تناول النحاة القدماء لـ(إذ) عند إعرابها في مواضع ورودها في القرآن الكريم، قد اتسم بغياب الرؤية الشاملة، فالسلك الذي ينظم الدُّرر الدلاليَّة لهذا العنصر اللغوي مفقود؛ إذ تكون الدلالة واحدة في مواضع كثيرة، لكنهم لم يسلكوها في نمط واحد يجعل من اليسير إعرابها، بل جعلوا يتأولون ويقدرون، يستحثهم في ذلك نظرية العامل، وأحادية النظرة إلى هذا العنصر اللغوي، وكذلك أوضح البحث دور السياق اللغوي والخارجي في تحديد المعنى المقصود للعنصر اللغوي من بين معانيه المتعددة؛ وبذلك يمكننا الحكم على السياق بأنه من أهم عوامل الثراء الدلالي للغة العربية على وجه العموم، وللعنصر اللغوي (إذ) على وجه الخصوص، ويمكن عرض النتائج التي توصل إليها البحث فيما يلي:

أولا: أسهمت نظرية العامل في تشتيت فكر النحاة عند تحليل التراكيب النحوية التي ترد فيها (إذ)، فانشغلوا بتحديد العامل، كما أسهمت نظرية العامل أيضًا في تشتيت دلالة التراكيب والإغراق والشطط في التأويل والتقدير، أمَّا إذا ابتعدنا عن تحكيم منطق العقل متمثلًا في نظرية العامل، والتزمنا بالمنهج الوصفي في تحليل تراكيب اللغة ذات الطبيعة المرنة التي تسمح بتعدد معاني العنصر النحوي تبعًا لسياقاته الوارد فيها فسنجد أن الدلالة واضحة تنساب إلى ذهن المتلقي من دون أي تعقيد.

ثانيًا: تعددت دلالات العنصر اللغوي (إذ) بتعدد السياقات التي وردت فيها، ووصلت هذه الدلالات إلى إحدى عشرة دلالة، فهي تأتي في كثير من استعمالات حرفًا دالا على الاستفتاح والشروع في القص، أو التعليل، أو التفصيل، أو التفسير، أو الاستقبال، أو المصدرية، أو الحالية، أو المفاجأة، أو التوكيد، وتأتي في بعض استعمالاتها اسمًا دالا على الحينية، أو التعويض والإحالة إلى جملة أو جمل سابقة محققة في كل دلالتها التماسك النصي الشكلي والدلالي بين أجزاء النص، ووردت هذه الدلالات في القرآن الكريم، ما خلا دلالتي التوكيد، والمفاجأة، ويبين الجدول والشكل التاليان عدد مرات ورود كل دلالة ونسبتها من جملة عدد ورودها في القرآن الكريم.

الدلالة	عدد مرات ورودها في القرآن الكريم	نسبة ورودها %
١- الاستفتاح وبدء القص	٨١	٣٦,٣
٢- التعويضية (للإحالة)	٤٧	٢١,١
٣- الحينية	٢٤	١٠,٨
٤- التفصيلية	١٩	٨,٥
٥- التعليلية	١٨	٨,١
٦- التفسيرية	١٤	٤,٥
٧- الاستقبال	١٢	٥,٤
٨- المصدرية	٨	٣,٦
٩- الحالية	٤	١,٨
الإجمالي	٢٢٣	١٠٠,٠

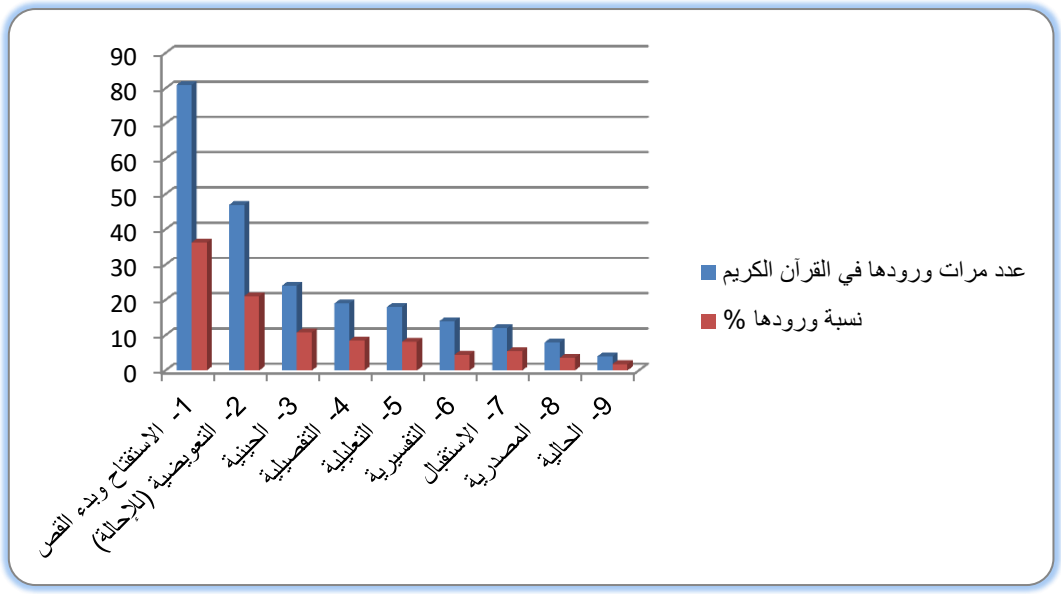

ثالثًا: يندرج تحت دلالة (إذ الاستفتاحية لبدء القص) ثلاثة عشر نمطًا تركيبيًّا متنوعًا، ويمثل بعض هذه الأنماط أصلًا وبعضها فروعًا عنه، ومن ذلك النمط الأصلي [اذكر (فعل أمر فاعله مستتر تقديره أنت موجه إلى النبي ﷺ)+ مفعول به للفعل اذكر، وهو(اسم النبي الذي تتحدث القصة عنه)+ إذ)]، ويتفرع عن هذا الأصل مجموعة من الأنماط الأخرى عن طريق قواعد التحويل المختلفة، فبقاعدة الإحلال إحلال المصد محل الفعل يتولد النمط [(ذكر) مضافا لمفعوله ...+ إذ)]، وبقاعدة الحذف يتولد نمطان

فرعيان آخران، أولهما (واو استئناف+ مفعول به لفعل محذوف+ إذ)، والآخر (وإذ...)؛ حيث حذف الفعل والفاعل والمفعول، وهذا النمط هو الأكثر اختصارًا بين الأنماط المتحولة عن النمط الأصلي، وكذلك هو النمط الأكثر شيوعًا في القرآن الكريم(٣٨,١%) من جملة مواضع ورودها في القرآن الكريم، ويمثل هذا النمط الأصل مع الأنماط المتفرعة منه (٥٨%) من جملة هذه الدلالة، وقد وردت أنماط تركيبية أخرى إلى جانب النمط السابق، ومنها أن تأتي جملة محورية متكررة متبوعة بـ(إذ)، وقد تكرر هذا النمط إحدى عشرة مرة في القرآن الكريم، وجاء في المرتبة الثانية (١٣,٦%) من جملة مواضع ورودها في القرآن الكريم، ويلي النمط السابق في نسب وروده النمط (إشارة إلى صاحب القصة + إذ) بنسبة (١٢,٣%)، ثم تأتي مجموعة من الأنماط التركيبية لـ(إذ) الاستفتاحية ذات نسبة ورود قليلة في القرآن الكريم، وهي (واتل عليهم نبأ... +إذ)، و(أن تسبق إذ باستفهام غرضه التشويق للقصة)، ونمط (اضرب لهم مثلا ..إذ)، و(ضرب الله مثلا ...إذ)، ونمط (ألم تر إلى ..إذ)، ونمط (نحن نقص .. إذ) ونمط (إشارة إلى موضوع القصة إذ يختصمون... إذ)، ونمط (تلقى القرآن ...إذ). ويوضح الجدول التالي عدد مواضع هذه الأنماط التركيبية ونسبتها إلى مجمل ورودها في القرآن الكريم:

النمط التركيبي لإذ الدالة على استفتاح القص في القرآن:	عدد مرات ورودها	نسبة ورودها %
١- (واذكر... إذ)	٣	٣,٧
٢- (اتل عليهم نبأ...إذ) (نبئهم بـ...+إذ)	٤	٤,٩
٣- (ذكر...+ إذ)	١	١,٢
٤- (واو استئناف+ مفعول به لفعل محذوف+ إذ)	٩	١١,١
٥- (وإذ ...)	٣١	٣٨,٣
٦- (جملة محورية متكررة+ إذ)	١١	١٣,٦
٧- (إشارة إلى صاحب القصة+ إذ)	٩	١١,١
٨- الاستفهام التشويقي + إذ	٤	٤,٩
٩- اضرب لهم مثلا... إذ، ضرب الله مثلا ... إذ	٢	٢,٥
١٠- ألم تر إلى ... إذ	٢	٢,٥
١١- نحن نقص ... إذ	٢	٢,٥
١٢- (إشارة إلى موضوع القصة) (إذ يختصمون)+ إذ...	٢	٢,٥
١٣- تلقى القرآن ... إذ	١	١,٢
الإجمالي	٨١	١٠٠,٠

رابعًا: تكتسب إذ بالتنوين وظيفة الإحالة إلى جملة سابقة عليها، وهو ما عبر عنه النحويون عند تسمية التنوين اللاحق لها بتنوين العوض، وهي أداة من أدوات التماسك النصي، فهي للإحالة والربط بين الجمل المتتالية في النص، وتحدث إلى جانب هذه الوظيفة نوعًا من الاختصار؛ إذ إنها تغني عن تكرار الألفاظ والجمل السابقة مرة أخرى، ويندرج تحت هذه الدلالة الرئيسة نمطان فرعيان، الأول الإحالة إلى حدث في المستقبل، والثاني الإحالة إلى حدث انتهى في الماضي، وتحت كل نمط من هذين أنماط تركيبية مختلفة، ويوضح الجدول التالي عدد مرات ورود كل نمط من هذه الأنماط ونسبته:

النمط التركيبي لـ(إذ التفصيلية)	عدد مرات ورودها في القرآن الكريم	%
النمط الأول: إذ للإحالة إلى حدث مستقبل	٤٥	٩٥,٨
أ- الإحالة إلى أسماء يوم القيامة:	٧	١٤,٩
ب- الإحالة إلى كلمة يوم مضافة أو موصوفة:	١٩	٤٠,٤
ج- الإحالة إلى كلمة إذا مضافة:	١٣	٢٧,٧
د- الإحالة إلى فعل مضارع يدل على الاستقبال:	٦	١٢,٨
النمط الثاني: يومئذ للإحالة على حدث انتهى	٢	٤,٣
الإجمالي	٤٧	١٠٠,٠

خامسًا: يندرج تحت إذ الحينية نمطان تركيبيان؛ يتمثل النمط الأول في أن يليها جملة فعلية، مع إمكانية إحلال الظرف (حين) أو (وقت) محلها واستبدال المصدر بالفعل الواقع بعدها، ويتفرع عن هذا النمط نمطان، أولهما أن تتبع إذ جملة فعلية فعلها ماضي لإفادة الثبوت والتحقيق والتوكيد، والآخر أن تتبع إذ بجملة فعلية فعلها مضارع لاستحضار الصورة حية أمام المخاطب، أما النمط الثاني فهو أن يليها جملة اسمية، مع إمكانية إحلال (حين كان الشأن) محلها.

سادسًا: يندرج تحت إذ التفصيلية في الاستعمال القرآني عدد من الأنماط التركيبية المختلفة، ويأتي في صدارتها النمط المفصل (اذكروا+ نعمة الله/ نعمتي+ إذ+ تفصيل النعم)، ويعد هذا النمط أصلًا للنمط التركيبي (واذكروا + مفعول به محذوف + إذ + تفصيل النعم)، وهذان النمطان يشكلان معًا (٦٣,٢%) من جملة مرات ورودها في القرآن الكريم، وقد تسبق إذ التفصيلية (جملة تحمل معنى

الامتنان+ إذ+ تفصيل النعم)، ويعد النمط التركيبي (منَّ مسندا للفظ الجلالة أو لضميره المستتر+ إذ + تفصيل الامتنان) أقل هذه الأنماط ورودًا في القرآن الكريم.

النمط التركيبي لـ(إذ التفصيلية)	عدد مرات ورودها في القرآن الكريم	%
١- (اذكروا+ نعمة الله/ نعمتي+ إذ+ تفصيل النعم).	٨	٤٢,١
٢- (واذكروا + مفعول به محذوف + إذ + تفصيل النعم).	٤	٢١,١
٣- (منَّ ... + إذ + تفصيل الامتنان).	٢	١٠,٥
٤- (جملة تحمل معنى الامتنان+ إذ+ تفصيل النعم).	٥	٢٦,٣
الإجمالي	١٩	١٠٠,٠

سابعًا: يندرج تحت إذ التعليلية ثلاثة أنماط تركيبية، الأول أن تقع الجملة التعليلية المصدرة بـ(إذ) معترضةً بين أجزاء الجملة المُعلَّلة، والثاني: أن تقع الجملة المصدرة بـ(إذ) التعليلية تعليلا لما قبلها (تعليل لاحق) أما النمط الثالث فأن تقع الجملة المصدرة بـ(إذ) التعليلية تعليلا لما بعدها (تعليل سابق)، ويوضح الجدول التالي نسب ورود كل نمط من هذه الأنماط الثلاثة في القرآن الكريم وكلام الرسول ﷺ وصحابته.

	في القرآن الكريم		في كلام الرسول ﷺ وصحابته	
النمط التركيبي لإذ التعليلية	العدد	%	العدد	%
١- أن تقع الجملة المصدرة بـ(إذ) التعليلية تعليلا لما قبلها (تعليل لاحق).	١٢	٦٦,٧	٤	٤٤,٤
٢- أن تقع الجملة المصدرة بـ(إذ) التعليلية تعليلا لما بعدها (تعليل سابق).	٤	٢٢,٢	٣	٣٣,٣
١- أن تقع الجملة التعليلية المصدرة بـ(إذ) معترضةً بين أجزاء الجملة المُعلَّلة.	٢	١١,١	٢	٢٢,٢
الإجمالي	١٨	١٠٠	٩	١٠٠

ثامنًا: وردت إذ التفسيرية في الاستعمال القرآني في ١٤ موضعا، وقد وردت تفسيرا لفعل أو لمصدر أو لمشتق، كما وردت في موضع واحد من كلام النبي ﷺ .

تاسعًا: تأتي (إذ) دالة على الاستقبال في ثلاث حالات تركيبية، إذا سبقت بما يدل على الاستقبال، ومن ذلك النمط التركيبي (ولو ترى إذ) و(لو يرى ... إذ) ، (فسوف يعلمون إذ)، وكذلك تدل على الاستقبال إذا استعملت في الشرط (إذما)، وكذلك إذا دلت على التعود على القيام بفعل والاستمرار فيه، ولم يرد في القرآن الكريم إلا النمط الأول فقد ورد في ثمانية مواضع، أمَّا النمطان الآخران فقد وردا في الشعر العربي القديم.

عاشرًا: إذ المصدرية هي التي يمكن تأويلها هي ومدخولها بالمصدر الصريح، وتقع بعد الظرف (بعد) في جميع مواضعها، فقد وردت في ٨ مواضع في القرآن الكريم، و٣ مواضع في كلام النبي وصحابته، وفي كل هذا المواضع ورد بعدها الفعل الماضي إلا في موضع واحد دخلت فيه إذ المصدرية على الجملة الاسمية.

حادي عشر : إذ الحالية هي التي يمكن إحلال واو الحال محلها، وهي تبين هيئة صاحبها المعرفة، ووردت إذ الحالية في أربعة مواضع من القرآن الكريم، كما وردت في الشعر العربي القديم.

ثاني عشر: لم ترد إذ الدالة على المفاجأة في القرآن الكريم، ولكنها وردت كثيرًا في كلام النبي ﷺ وكلام صحابته رضي الله عنهم، وقد وردت بعد بينما ٤٣ مرة ، وبعد بينا ٣١ مرة، ومن غير أن يسبقها بينما ولا بينا ٢٦ مرة، وذلك طبقًا لحصر هذه الشواهد من كتاب صحيح البخاري.

الأنماط الفرعية لـ(إذ الدالة على المفاجأة).	عدد مرات ورودها في كلام النبي ﷺ وصحابته	نسبتها إلى مجمل الدلالة.
النمط الأول: أن تجيء بعد (بينما).	٤٣	٤٣,٠
النمط الثاني: أن تجيء بعد (بينا).	٣١	٣١,٠
النمط الثالث: أن تجيء من غير أن يسبقها (بينما) ولا (بينا).	٢٦	٢٦,٠
الإجمالي	١٠٠	١٠٠,٠

ثالث عشر: لم ترد (إذ) بمعنى (قد) في القرآن الكريم ولا في كلام رسول الله ﷺ وصحابته ﷺ، ولكنها وردت في الشعر العربي القديم، ووروودها نادر؛ إذ لم يعثر الباحث إلا على شاهد واحد من شواهدها، وهي في ذلك الشاهد تقع في صدارة جملة النعت.

رابع عشر: تحقق (إذ) في مواضع كثيرة من القرآن الكريم التماسك النصي الشكلي والموضوعي بين الآيات التي تنسبك دلاليًا في غرض واحد أو سياق واحد، وذلك بتكرارها إما متحدة الدلالة أو متعددة الدلالة، وقد اعتمد العربي الشعر القديم أيضًا عليها في تحقيق التماسك النصي.

خامس عشر: تعددت مشكلات التحليل النحوي لـ(إذ) في التراث النحوي بين مشكلات تتعلق في الاستدلال النحوي، ومشكلات تتعلق بالتصنيف الدلالي للعناصر اللغوية، ومشكلات تتعلق بالإعراب وتحديد العامل.

قائمة المصادر والمراجع:

١. أسلوب (إذ) في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية، د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢. إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٣. أمالي ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩١م

٤. الأمالي، لأبي علي القالي (ت ٣٥٦هـ)، عني بوضعها وترتيبها محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م

٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٦. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، طبعة جديدة بعناية صدقي محمد جميل وآخرين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، د. ط، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٧. تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٨. التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧٦م.

٩. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، للطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ.

١٠. التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، حققه الأستاذ الدكتور حسن هنداوي، الأجزاء الخمسة الأولى دار القلم، دمشق- سوريا، وبقية الأجزاء طبعة دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، سنوات مختلفة.

١١. التفسير البسيط، للواحدي (ت ٤٦٨هـ)، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

١٢. تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، لابن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق د عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، د. عبد

السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م

١٣. تفسير القرآن، للسمعاني (ت ٤٨٩هـ)، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

١٤. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، للنسفي (ت ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

١٥. التفسير الوسيط، للواحدي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، قدمه وقرظه الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

١٦. تهذيب اللغة، للأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م

١٧. التيسير في التفسير للنسفي (ت ٥٣٧هـ)، تحقيق ماهر أديب حبوش، وآخرون، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول – تركيا، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م.

١٨. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

١٩. جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، لأبي زيد القرشي (ت ١٧٠هـ)، حققه وضبطه وزاد في شرحه علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، بدون طبعة، بدون تاريخ.

٢٠. الجنى الداني في حروف المعاني، لابن أم قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ– ١٩٩٢م.

٢١. الحماسة البصرية، لعلي بن أبي الفرج بن الحسن، صدر الدين، أبو الحسن البصري (ت ٦٥٩هـ)، تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب – بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٢٢. حماسة الخالديين (الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين) للخالديين، أبي بكر محمد بن هاشم الخالدي، (ت نحو ٣٨٠هـ)، و أبي عثمان سعيد بن هاشم الخالدي (ت ٣٧١هـ)، تحقيق الدكتور محمد علي دقة، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، ١٩٩٥م.

٢٣. الحماسة، لأبي عُبَادة الوليد بن عُبَيد البحتري (ت٢١٨هـ)، تحقيق د. محمد إبراهيم حُوَّر، وأحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

٢٤. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، للبغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٢٥. الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، ١٩٩٩م.

٢٦. الدر الفريد وبيت القصيد، للمستعصمي (ت ٧١٠هـ)، تحقيق الدكتور كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م

٢٧. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، دار القلم– دمشق.

٢٨. ديوان أبى النجم العجلي الفضل بن قدامة (ت١٣٠هـ)، جمعه وشرحه وحققه الدكتور محمد أديب عبد الواحد حمدان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.

٢٩. ديوان أبي الأسود الدؤلي، (ت ٢٩٠هـ)، تحقيق محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال – بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ– ١٩٩٨م.

٣٠. ديوان أبي ذؤيب الهذلي، تحقيق وتخريج د. أحمد خليل الشال، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ببور سعيد، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ– ٢٠١٤م

٣١. ديوان الحارث بن حلزة اليشكري، صنعه مروان العطية، دار الإمام النووي للنشر والتوزيع، دمشق، دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٣٢. ديوان الشنفرى، عمرو بن مالك، (ت نحو ٧٠ ق.هـ) جمعه وحققه وشرحه الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م.

٣٣. ديوان العباس بن مرداس السلمي، جمعه وحققه الدكتور يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة–بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ–١٩٩١م.

٣٤. ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له الأستاذ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م.

٣٥. ديوان الهذليين، ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة – جمهورية مصر العربية، ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥ م

٣٦. ديوان أمية بن أبي الصلت، جمعه وحققه وشرحه الدكتور سجيع جميل الجبيلي، دار صادر– بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٣٧. ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة – مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦م.

٣٨. ديوان جميل بثينة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، بدون طبعة، ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م.

٣٩. ديوان حسان بن ثابت، شرحه وكتب هوامشه وقدم له الأستاذ عبدأ مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م.

٤٠. ديوان ذي الإصبع العَداوني حُرثان بن مُحرث (ت نحو ٢٢ أو ٢٥ قبل الهجرة)، جمعه وحققه عبد الوهاب محمد علي العدواني، ومحمد نائف الدليمي، مطبعة الجمهور، الموصل، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م .

٤١. ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له الأستاذ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م.

٤٢. ديوان عنترة بن شداد، اعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت– لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م.

٤٣. ديوان قيس بن الخطيم (ت٦٢٠م)، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد، دار صادر – بيروت، ١٩٦٧م

٤٤. ديوان لبيد بن ربيعة العامري (ت ٤١هـ)، اعتنى به حمدو طمَّاس، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م

٤٥. ديوان ليلى الأخيلية (ت نحو ٨٠هـ)، عُني بجمعه وتحقيقه خليل إبراهيم العطية، وجليل العطية، سلسلة كتب التراث، وزارة الثقافة والإرشاد – مديرية الثقافة العامة، العراق، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ–١٩٦٧م.

٤٦. ديوان معاوية بن أبي سفيان (ت٦٠هـ)، جمعه وحققه وشرحه الدكتور فاروق أسليم بن أحمد، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م

٤٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ

٤٨. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، للسهيلي (ت ٥٨١هـ)، تحقيق عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م

٤٩. شرح التسهيل، لابن مالك (ت ٦٧٢هـ)، د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى،١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٥٠. شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، دراسة وتحقيق الدكتور يحيى بشير مصري، سلسلة نشر الرسائل الجامعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٥١. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبي بكر الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، الطبعة الخامسة، ١٩٩٣م.

٥٢. شرح القصائد العشر، للتبريزي (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق محمد منير الدمشقي، المطبعة المنيرية، الطبعة الثانية، ١٣٥٢هـ/١٩٣١م.

٥٣. شرح المعلقات التسع المنسوب، لأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦هـ)، تحقيق وشرح عبد المجيد همو، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

٥٤. شرح المعلقات السبع، للزوزني (ت ٤٨٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م

٥٥.شرح المفصل، لابن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م

٥٦. شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي (ت ٤٢١هـ)، تحقيق غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٥٧. شرح شواهد المغني، للسيوطي (ت ٩١١هـ)، وقف على طبعه وعلق حواشيه أحمد ظافر كوجان، وتذييل وتعليقات الشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي، لجنة التراث العربي، بدون طبعة، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

٥٨. شرح كتاب سيبويه للسيرافي(٣٦٨هـ)، تحقيق أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م

٥٩. شرح نقائض جرير والفرزدق، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (برواية اليزيدي عن السكري عن ابن حبيب عنه)، تحقيق محمد إبراهيم حور، ووليد محمود خالص، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، الطبعة: الثانية، ١٩٩٨م.

٦٠. شعر عبد الله بن الزبعرى، تحقيق د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٦١. شعر عبد الله بن همام السلولي، جمع وتحقيق ودراسة وليد محمد السراقبي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة- دبي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٦٢. شعر نُصيب بن رباح، جمع وتقديم الدكتور داود سلوم، مطبعة الإرشاد- بغداد، ١٩٦٧م

٦٣. الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، دار الحديث، القاهرة، بدون طبعة، ١٤٢٣هـ

٦٤. صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة – دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م

٦٥. العققة والبررة، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (٢١٠هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٢ م

٦٦. عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية –بيروت، بدون طبعة، ١٤١٨هـ

٦٧. غرائب التفسير وعجائب التأويل، للكرماني (ت نحو ٥٠٥هـ)، تحقيق د. شمران سركال يونس العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٦٨. فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال، محمد علي طه الدرة، مكتبة السوادي جدة – السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م

٦٩. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت ٧٤٣هـ)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م

٧٠. الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، عارض أصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٧١. كتاب الاختيارين: المفضليات والأصمعيات، للأخفش الأصغر (ت ٣١٥هـ)، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سورية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م

٧٢. الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، للمنتجب الهمذاني (ت ٦٤٣ هـ)، حقق نصوصه وخرجه وعلق عليه: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م

٧٣. الكتاب، كتاب سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قَنبر (ت ١٨٠هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨م.

٧٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، ضبطه وصححه ورتبه مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث بالقاهرة – دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م

٧٥. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي (ت ٤٢٧هـ) أشرف على إخراجه د. صلاح باعثمان وآخرون، وحققه عدد من الباحثين، دار التفسير، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م

٧٦. اللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ)، الجزء الأول تحقيق غازي مختار طليمات، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، والجزء الثاني تحقيق د. عبد الإله النبهان، دار الفكر المعاصر، بيروت– لبنان، دار الفكر – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

٧٧. اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل (ت ٧٧٥هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.

٧٨. لطائف الإشارات، للقشيري (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.

٧٩. اللمع في العربية لابن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق فائز فارس، دار الكتب الثقافية – الكويت، بدون طبعة، بدون تاريخ.

٨٠. مجاز القرآن، لأبي عبيدة (ت ٢٠٩هـ)، تحقيق محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة ١٣٨١ هـ

٨١. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ

٨٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤٢٢ هـ

٨٣. المخصص، لابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م.

٨٤. مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

٨٥. معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (ت ٥١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م

٨٦. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (ت٣١١هـ)، شرح وتحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م

٨٧. معاني القرآن، للفراء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق أحمد يوسف النجاتي وآخرين، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة الأولى.

٨٨. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق وشرح د. عبد اللطيف محمد الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٨٩. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٢٠ هـ

٩٠. المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت٧٩٠هـ)، تحقيق مجموعة محققين، معهد البحوث العلمية ومركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٩١. المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ (شرح الشواهد الكبرى)، لبدر الدين العيني (٨٥٥هـ)، تحقيق أ. د. علي محمد فاخر وآخرين، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

٩٢. مقاييس اللغة، لابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٩٣. المقتضب، للمبرد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٩٤. النكت والعيون، للماوردي (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠١٩م

٩٥. نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري (ت ٧٣٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ

٩٦. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لمكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي –

جامعة الشارقة، بإشراف أ. د الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

٩٧. الوَحشيَّات (الحماسة الصغرى)، لأبي تمام (ت ٢٣١ هـ)، علق عليه وحققه: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، وزاد في حواشيه: محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.

الرسائل العلمية:

١. إذ واستعمالاتها في القرآن الكريم بين النحاة والمفسرين، إعداد الطالبة مها علي القرشي، إشراف الأستاذ الدكتور محمد خاطر، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، ١٤٢٩-١٤٣٠هـ.

The syntactic and semantic patterns of (إذ) between the grammatical rule and linguistic use ((descriptive study))

Dr. Mohammed Kamal Mohammed Gad
Lecturer at the Department of Arabic Language
Faculty of Arts - Menoufia University

Abstract:

This research examines the problems that plagued the ancient grammarians' analysis of the linguistic element (إذ) that reflect the failure of grammatical strictness to keep pace with linguistic reality, and the grammarians' attempt to freeze the multiple connotations of the grammatical element into one connotation, or to impose a specific connotation of the element in a specific use on all uses of the grammatical element. Imposing the logic of reason on the logic of language, Which led them to resort to affectation in interpretation and distance in assessment, and to demand a correspondence between (إذ) and what came before it without any semantic relationship. To preserve the sanctity of the rule, even if it contradicts usage.

The research stopped on the grammarians imposing a single meaning on (إذ), which is circumstantial and temporal. Then they ruled on its name, ruled out its being a letter, and sought in all possible and impossible ways to determine the accusative factor of this noun. Thus, they were distracted from considering the subtle differences between the linguistic uses of this word in the speech of the Arabs in general, and the Qur'anic usage in particular, and the research proved that (إذ) It is one of the linguistic elements distinguished by the diversity of its uses and the diversity of its connotations. It comes in many uses of a letter indicating the opening and the beginning of the story, or compensation and referral to a previous sentence or sentences, or reasoning, or elaboration, or interpretation, or reception, or infinitive, or current, or Surprise, or confirmation, and in all of its uses it is a noun denoting the meaning of temporal circumstantiality,and in all its connotations, it achieves formal and substantive textual cohesion.

Key words: rule and usage, syntactic patterns of (إذ), semantics of (إذ), Qur'anic context, logic of reason, flexibility of linguistic use.